خواطر في اللغة والمصطلحات

عندما كنت أطالع في كتب ومجلات حديثة ، أو أستمع إلى محطات اذاعية كانت تبرز لي أحياناً أشتات من الخواطر في اللغة والمصطلحات . وهذه جملة منها أنقلها إلى الذين يهتمون بشؤون لغتنا الضادية :

١ — أسماء العناصر الكيمياوية المنتهية بالكاسعة Um :

يسمي علماء الكيمياء في الغرب معظم العناصر الكيمياوية ، ولا سيما التي كشف النقاب عنها حديثاً ، بأسماء ينهونها بالكاسعة « اللاحقة » Um ، فيقولون مثلاً Radium ، Actinium ، Thallium ، Scandium ، Osmium الخ .

وقد لاحظت أن بعض أساتيذ الكيمياء عندنا ينهون معرّبات الأسماء المذكورة بالواو والميم في مثل رادُيوم وأكتينيوم وتاليُوم وسكندُيوم وهكذا ، وذلك هو الأصلح ، ولكن بعضهم ينهونها بالميم مع ضم الحرف الذي يأتي قبل الميم مثل قولهم تالِيُم وسكندِيُم وأسميُم ، وذلك مرغوب عنه . فالتعريب الراجح هو تاليُوم وإسكندُيوم وأسميُوم .

وقد كنت نبهت مقرر لجنة الكيمياء إلى هذا الموضوع في إحدى جلسات مجمع اللغة العربية بالقاهرة فوافق أعضاء المجمع جميعاً على إنهاء تلك المعرّبات بالواو والميم .

٢ — أسماء أعجمية منتهية بالكاسعة Ique :

في الفرنسية ألفاظ تكون أسماء وتكون نعوتاً ، مثل الألفاظ الآتية :

Mécanique ، Dynamique ، Statique ، Technique . فعندما يعربها بعضهم ويستعملونها أسماء يقولون فيها ميكانيكا وديناميكا واستاتيكا وتكنيكا . ولكنهم عندما يعربونها لاستعمالها نعوتاً يلقون منها الكاسعة ique ، ويعربون تلك النعوت بقولهم ميكانيّ وديناميّ واستاتيّ وتكنيّ ، ذاهبين إلى أن الكاسعة الفرنسية المذكورة هي أداة نسبة ، والى أن أداة النسبة العربية أي الياء المشددة تقوم مقامها .

والحقيقة أن الأحرف ique في الألفاظ المستعملة أسماء إفرنسية للعلوم أو لأقسام العلوم الملمع اليها تُعد أحرفاً أصلية في تلك الأسماء لا من أدوات النسبة . ولذلك عندما ننسب إلى المعرّبات المذكورة يجب إبقاؤها كاملةً وإضافة ياء النسبة اليها فنقول ميكانيكيّ وديناميكيّ وإستاتيكيّ وتكنيكيّ . وكنتُ ذكرتُ هذا الموضوع في حاشية الصفحة ٥٤٩ من عدد تشرين الأول «اكتوبر» سنة ١٩٦٣ (الجزء ٤ من المجلد ٣٧) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣ — الفوضى في استعمال بعض الألفاظ :

(أ) من ذلك كلمة « أستاذ » . فالعامة اليوم تطلقها على كل من يراد تمييزه بشيء من الحرمة أو المعرفة مهما تكن صنعته . وقد يكون هذا الرجل ممن لا صلة لهم بالتعليم : كأن يكون موظفاً أو تاجراً أو صاحب أرض أو صاحب معمل أو غير ذلك .

وذهب بعض الكتّاب إلى أن الكلمة المذكورة قد هبطت قيمتها ، فأخذوا يتجنبون اطلاقها على أساتذة الجامعات الأوربية ، وراحوا يعربون كلمة بروفسور الأعجمية بقولهم جاء البروفسور فلان ، وذهب البروفسور في جامعة كذا ، وكأنهم يجدون ان كلمة الأستاذ لا تليق بهؤلاء الأساتذة الأعاجم ، وأن كلمة

بروفسور الفرنسية لها مدلول يفوق مدلول كلمة الأستاذ . والحقيقة أن الجهل أو صغر النفوس أو الاطمئنان الأعمى إلى كل من كان أو ما كان أجنبياً هي التي تسلكهم هذا المسلك الوعر . فالكلمة الفرنسية المذكورة لا تُطلق في لسان الفرنسيين على أساتيذ الجامعات وحدهم ، بل تطلق على كل من يعلّم لغة أو علماً أو فناً أو غيرها في الجامعات وفي غير الجامعات . ولئن كانت تُطلق عندهم على أساتذة المدارس العالية على الأخص ، فكلمة أستاذ تطلق عندنا أيضاً على الذين بلغوا أعلى مرتبة من مراتب التدريس في كليات جامعاتنا ، كما تطلق على أعضاء المجامع العلمية واللغوية في المخاطبات وفي محاضر الجلسات . وتسمية المعلم الأجنبي باسم الأستاذ لا تقل في باب الحرمة والتكريم عن تسميته باسم البروفسور .

(ب) ومن ذلك التخبط في استعمال الألفاظ الدالة على الجماعات العسكرية ، فعندما يترجم كتاب الصحف وموظفو الإذاعات العربية الأنباء العسكرية التي تذيعها شركات الأنباء ، كثيراً ما يغلط بعضهم في تمييز أسماء الجماعات العسكرية بعضها من بعض ، مثل الجيش والفيلق والفرقة واللواء والفوج والكتيبة والسرية والفصيلة والزمرة ، على حين أن كل كلمة من هذه الكلمات لها في الجندية مدلول محدد . وفي المعجم العسكري الذي كنا نقلناه في دمشق إلى العربية عن المعجم العسكري الكندي (وهو بالإنكليزية والفرنسية) جعلنا الألفاظ العربية المذكورة ، على التتابع ، أمام الألفاظ الإفرنسية الآتية :

Armée, Corps d'armée, Division, Brigade, Régiment, Bataillon, Compagnie. Section, Escouade.

(ج) ومن ذلك أيضاً الفوضى في تسمية درجات المدارس . فأنت تقرأ في دمشق أمثال الجمل الآتية : « معهد روضة الأطفال » و « كليات جمعية

كذا » على حين أن كلمة المعهد[1] تُطلق في الاصطلاح الحديث على مؤسسة للتعليم أو البحث العالي كمعهد الدراسات العربية العالية ، وكمعهد البحوث العلمية مثلاً ، فهل روضة الأطفال تعد معهداً ، أو تحتاج في إدارتها إلى معهد؟ . وهب أننا استعملنا كلمة المعهد في مثل معهد الفنون ومعهد التجميل فهل يجوز أن نبلغ بها رياض الاطفال ؟ .

ثم ان الجمعية المذكورة التي تقول إن عندها كليات ليس عندها في الحقيقة سوى مدارس ابتدائية أو اعدادية . وقد سمتها كليات تعظيماً لها في حين أن الكلية في الاصطلاح الحديث هي فرع من فروع التعليم العالي في الجامعات .

٤ — الإفراط في التعريب :[2]

يفرط بعض العلماء والأدباء في تعريب ألفاظ أعجمية كان وُضع لها ألفاظ

---

(١) وهي ترجمة Institut الفرنسية في معظم استعمالاتها .

(٢) للتعريب معان كثيرة في الأمهات من المعجمات . وأهم معنى له عند رجال اللغة والاصطلاحات العلمية ما جاء في المزهر : « المعرّب هو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها » ، أي ادخال ألفاظ أعجمية في لساننا واستعمالها بمعانيها كقولنا اليوم مثلاً سينما وفلم ، وكقول القدماء ياسمين وابريق الخ . والمعرّب في لغتنا كثير ، ويسمى الدخيل . وفي لسان العرب : تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها تقول عرّبته العربُ وأعربته أيضاً . وقد ذكرتُ هذه البداءه لأن المحدثين أخذوا يكثرون من استعمال التعريب بمعنى الترجمة أو النقل إلى العربية كقولهم تعريب التعليم وتعريب الدواوين وتعريب الكتاب ؛ ويشيرون بذلك إلى جعل التعليم باللغة العربية ، وإلى جعل العربية لغة الدواوين الحكومية ، وإلى نقل الكتاب الأعجمي إلى العربية . وأفرط بعضهم في استعمال هـــذا المعنى الحديث للتعريب حتى صاروا يقولون في رسائل رسمية : « توحيد المصطلحات المعرّبة » ، ويعنون بذلك في نظرهم توحيد المصطلحات العربية أو المنقولة إلى لساننا بوسائل وضع المصطلحات العربية كالاشتقاق والنحت والمجاز والتضمين . وعلى مقتضى مفهومهم هذا يضيع المعنى اللغوي الصحيح للتعريب ، والمعنى اللغوي الصحيح للمصطلحات ==

عربية شاعت في الكتب والمجلات ، ككلمة Microscope مثلاً فقد كانت سميت المجهر ، وهي كلمة حسنة شاعت في الكتب المدرسية وفي كليات الجامعة السورية وغيرها ، فإذا بي أجدها معربةً في قسم البصريات من مجموعة المصطلحات العلمية التي كانت عرضت في سنة ١٩٦١ على المؤتمر العلمي الرابع للاتحاد العلمي العربي . والكنني وجدتها — أي كلمة المجهر — مثبتة ومستعملة في قسم الجيولوجية وقسم النبات من المجموعة المذكورة .

ومن الإفراط في التعريب أيضاً اكتفاء بعض العلماء بتعريب أسماء كثيرة لمقاييس علمية كمقياس الرطوبة Hygromètre ، ومقياس الكهرباء Électromètre ، ومقياس الإشعاع Radiomètre ، ومقياس الأشعة Actinomètre ، ومقياس الريح Anémomètre الخ . مكتفين بقولهم إيجرومتر والكتروميتر وراديومتر واكتينومتر وأنيمومتر . فالمقاييس كثيرة في مختلف العلوم . وقد ذكرتُ منها ٤٦ مقياساً في معجم الألفاظ الزراعية كمقياس الشدة ومقياس اللبن ومقياس المطر ومقياس الشجر ومقياس الحموضة ومقياس الأدهان (الزيوت) ومقياس الحرير الخ . ولم أعرِّب أو لم أكتف بتعريب الأسماء الفرنسية لهذه المقاييس . وأرى أنه لا بد من ترجمة هذه الأسماء وأشباهها بمعانيها . وإذا كان يُستحسن تعريب أسماء الأدوات والأجهزة العلمية الحديثة ، فمن المستحسن أيضاً وضع أسماء عربية لها إلى جانب الأسماء المعربة . وليس من الضروري أن يكون

المعرَّبة ، وهذه ، كما قلت ، وكما هو معروف ، إنما هي المصطلحات الأعجمية التي ندخلها في لساننا إما على حالها أو بعد جعلها على وزن من الأوزان العربية وهو الأصلح .

ومعاني التعريب كما قلت كثيرة منها تهذيب النطق من اللحن ، وتعليم الرجـــل العربية ، واتخاذ فرس عربي ، وقطع سعف النخل أي التشذيب ، والمنع والإنكار ، والفحش في الكلام ، وتمريض الضَّرِب أي الذَّرِب المعدة الخ .

المصطلح العربي شاملاً لجميع معاني المصطلح الأعجمي، كما أن المصطلح الأعجمي نفسه كثيراً ما يقصر عن أداء ما يدخل فيه من المعاني . مثال ذلك أن كلمة أنيمومتر الفرنسية معناها الأصلي مقياس الريح ، على حين أن هذا المقياس يبين اتجاه الريح وسرعتها . ومن المعلوم أن المصطلح يوضع أحياناً لأدنى ملابسة .

ومن الإفراط في التعريب والإمعان فيه دوام محطات الإذاعة الصوتية والمرئية على استعمال كلمات أعجمية لا حاجة اليها مثل كلمة « ديكور » وهي الزُّخْرف ، و « ريبورتاج » وهي التحقيق أو الاستطلاع الصحفي و « مونتاج » وهي الإعداد[1] .

(٥) الدوام على مخالفة قرارات المجمع :

ما زال بعض الأساتيذ في الجامعات ، ولجان المجمع في القاهرة ، والاتحاد العلمي العربي ، يخالفون قرارات كان اتخذها المجمع المشار اليه بناء على اقتراحي ، ومنها اتباع النطق الأصلي في تعريب الكلمات الأعجمية التي يكون لها رسم واحد في اللغات الأوربية المشهورة ، ولكن النطق بها يكون مختلفاً في تلك اللغات . فما قرأته في مجموعات علمية تعريبهم مثلاً كلمات Biotite و Augite و Calcite بكلمات بايوتايت وأوجايت وكالسايت ، على حين أن التعريب الصحيح بموجب قرار المجمع ، وبتوقي التقاء الساكنين هو بيوتيت وأوجيت وكلسيت فمتى يستقر رأي الدارسين باللغة الإنكليزية على تجنيب لساننا ، في النطق بالمعربات ، غرائب نحن في غنى عنها ؟

وما برح اخواننا في القطر المصري يكتفون بنقل الحرف g اللاتيني (ويقابله الحرف غمّا في اليونانية) جيماً ، على حين أن تسعة أعشار البلاد العربية لا تنطق بهذه الجيم الا مخففة . والقدماء ما نقلوا الحرف الأعجمي المذكور إلا غيناً .

(١) يراجع مقال ألفاظ الحياة العامة ومعجم الحضارة لمؤلفه محمود تيمور (الجزء الرابع من المجلد ٣٧ ص ٥٤٤) .

وكان مجمع اللغة العربية قرر نقله غينا . ولكن هذا القرار لم يتبع في مصر، فاقترحتُ عليه نقله غيناً وجيماً جميعاً فيقال مثلاً غازولين وجازولين، وغليسرين وجليسرين، فاتخذ المجمع قراراً بذلك . ومع هذا ظلت الجيم هي التي تُوسم وحدها في معظم معرّبات لجان المجمع .

ومن القرارات أيضاً أن الكلمات الأعجمية المنتهية بالحرف A أو بالكاسعة gie التي تدل على العلم يفضل إنهاء معرباتها بالتاء ترجيحاً على الألف، فيقال مثلاً جيولوجية ومغنولية وبيولوجية ترجيحاً على جيولوجيا ومغنوليا وبيولوجيا . والسليقة العربية تقتضي ذلك . ومع هذا مايرح كثير من الاساتيذ في المجمع وفي الجامعات يسيرون على حسب آرائهم الخاصة .

٦ — جمع الفُطْر فُطور وأفطار على القياس :

تُطلق كلمة الفُطر في الاصطلاح العلمي الحديث على ما يسمى بالفرنسية Champignon وبالإنكليزية Fungus . وهذا المدلول هو ما أشار اليه ابن البيطار في مفرداته . أما في المعجمات الأصلية فتعريف الفطر هو :

في اللسان : « . . . والفطر أيضاً جنس من الكَمْء، أبيض عظام لأن الأرض تنفطر عنه واحدته فطرة » .

وفي التاج : « والفطر بالضم، وجاء في الشعر بضمتين، ضرب من الكمأة أبيض عظام لأن الأرض تنفطر عنه . وهو قتال . واحدته فطرة » .

وفي المخصص « بحث الكمأة » : « ويقال للفقعة أيضاً الفُطر واحدته فُطرة » .

وفي الصحاح : « . . . والفُطر أيضاً ضرب من الكمأة أبيض عظام الواحدة فطرة » .

ويتضح من ذلك أن أصحاب المعجمات المذكورة قد جعلوا الفطر جنساً أو ضرباً من الكمأة، على حين أن الكمأة في العلم الحديث هي جنس من الفطور .

والفطور عليًا طائفة نباتية من اللازهريات تُقسم في علم النبات أربع رتب ، وفي كل رتبة فصائل وأجناس وأنواع عديدة ، منها المسم ، وما يؤكل ، وما يكون طفيليًا مِجهريًا يُحدث في النباتات الزراعية أمراضا .

ولم أجد جمعًا لكلمة الفطر في المعجمات التي أشرتُ اليها ، ولا في مفردات ابن البيطار ، ولا في تذكرة الأنطاكي ، ولا في المعجمات الحديثة الآتية وهي : أقرب الموارد والبستان ومتن اللغة والمنجد ، ولا في كتاب « مبادئ علم النبات » المطبوع في بيروت سنة ١٨٧١ للدكتور بوست ، ولا في كتاب « علم النبات الزراعي » لمؤلفه جون برسيفال ، وقد نقلته وزارة الزراعة المصرية إلى العربية وطبعته سنة ١٩٢٠ .

وفي مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة (الصفحة ٥٣٥ من المجلد الأول — مصطلحات علوم الأحياء) سمي الفُطْر باسم واحدته أي فُطرة ، وجمع على فُطَر :

الفُطْرة (ج الفُطَر) (Fungus (Pl. Fungi

أما في الصفحة ٣٣٩ من المجموعة المذكورة (مصطلحات في علم الأمراض ومتفرقاتها) فقد أطلق على Fungus اسم الفُطْر ، وجمع على أفطار :

فُطْر (ج أفطار) Fungus

ومن الواضح أن الفطر اسم جنس يدل على الماهية ، ويقع بلفظ المفرد على القليل والكثير ، والتاء فيه تدل على المفرد كنخل ونخلة ، وشجر وشجرة ، ونمل ونملة وأشباه ذلك . وأسماء الجنس هذه التي تُختم بتاء الوحدة يغلب التذكير على ما جاء منها مجرداً من التاء فيقال هذا فطر سام ، وهذا شجر باسق ، وهكذا . وهي تُجمع جمع قلة بالألف والتاء أيا كان وزنها فيقال فطرات وشجرات

ونخلات . وتجمع جمع كثرة بتجريدها من التاء على ما جاء في شرح الشافية وفي الجزء الرابع من مجلة مجمع اللغة العربية (ص ٢٠٩) . ولكننا في حاجة إلى التفريق بين اسم الجنس وجمعه . ففي شرح الشافية ان ما كان على وزن ُفعلة كدُخنة وُبرة ودُرة قد يجيء جمعه على ُفعَل كدُرَر وُنوَم تشبيهاً بغُرَف . ولكن هذا الوزن لا يفيدنا في تكسير الفطرة ، لأن الجمع أي ُفطَر بفتح الطاء يحتاج إلى تشكيل لكي لا يلتبس باسم الجنس نفسه وهو الفُطر . ثم إن هذا الجمع لا ُيعد قياسياً . ولذلك سرنا في الشام على جمع ُفطر على ُفطور منذ أوائل القرن الحاضر . وسبقنا الترك إلى ذلك منذ أواخر القرن الماضي . وهذا مطابق لما أقره مجمع اللغة العربية في جمع الاسم الثلاثي المجرد من تاء التأنيث ، فما كان منه على وزن ُفعْل وليس له جمع تكسير يجمع على ُفعُول للكثرة وعلى أفعال للقلة (الجزء الرابع من مجلة المجمع ص ١ و ١٨٩) . وعلى هذا جمعنا كلمة فطر على ُفطور ، وجمعنا الجمع على أفطار . أما فُطُر بضمتين فليست جمعاً بل هي اسم الجنس نفسه جاء في الشعر بضمتين .

ولا أرى بعد هذا حاجة إلى استعمال الفُطْرِيَّات ، وهي حديثة ، بدلاً من الفطور والأفطار ، إلا إذا دلت على علم الفطور وهو بالفرنسية Mycologie .

مصطفى الشهابي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أبو العبّاس التيفاشي

(٥٨٠ هـ ـ ٦٥١ هـ = (١١٨٤ م ـ ١٢٥٣ م)

و كتابه

أزهار الأفكار في جواهر الأحجار

عندما يسكت المؤرخون ، ولا سيما كتاب الطبقات منهم عن عَلم من أعلام الفكر ، أو رائد من رواد المعرفة ، فإن سكوتهم هذا لا يعني شيئاً في حقيقة الواقع ، وإن كان في بعض الأحيان ، يسدل ستاراً كثيفاً لا بد لنا من أشعة كاشفة قوية المفعول لتمزيقه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فتاريخ الفكر والحضارة في الإسلام يشتمل على سلسلة طويلة ذات حلقات من الرواد والأعلام . ولكن الباحث المتعمق الذي يربط الربط المحكم بين هذه الحلقات يجد نفسه أحياناً أمام فراغ واسع بين حلقة وأخرى في سلسلة الحضارة والفكر . وليس لذلك من سبب سوى أن العناية كانت أولاً وبالذات متجهة إلى تدوين تاريخ الدول والملوك وأهل الحظوة والوجاهة ، حتى إذا اتسعت الآفاق أمام المدوّنين تناولوا طبقات أهل المذاهب والقراء والحفاظ والنحاة والشعراء والقضاة .

على أن هذه العناية كانت تلحق أحياناً الحكماء والأطباء والفلكيين وبعض رجال الفنون الأخرى ، فنجد من كتب في طبقاتهم . لكن الشغوف والاعتبار كانا دائماً في الجانب الآخر والسعيد من الأطباء والصيدليين والمهندسين والفلكيين والجوهريين والرحالين والجغرافيين هو الذي استطاع أن يكون إلى

جانب مهارته في هذه الفنون ، قد عُرف بالفقه أو الحديث أو اللغة أو الشعر ، ليتخذ كتاب الطبقات ذلك ذريعة لحشره في زمرة الفقهاء أو المحدثين أو أهل اللغة أو الشعراء .

وأبو العباس التيفاشي الذي نحاول الحديث عنه اليوم مع كتابه القيم « أزهار الأفكار في جواهر الأحجار » أصدق من يمثل هذه الحقيقة التي أشرنا اليها آنفا .

فنحن أمام عَلم من أعلام الفكر والحضارة حاول أن يكتب دائرة معارف إسلامية في القرن السابع الهجري ونحن أمام كتاب فريد من نوعه لا يستطيع تأليفه إلا رجل من ذوي الاختصاص في البحث عن الأحجار المتنوعة وخواصها المعدنية والطبية والفروق الذاتية والعَرَضية التي تفرق بين أصنافها المختلفة وما يتبع ذلك من تحقيق وتدقيق وتفصيل .

ولكن ذلك لم يكن ليشفع لصاحبنا فيحتل مكانة مرموقة في كتاب من كتب الطبقات ؛ فقد سكتت عنه سكوتاً غريباً ، وتجاهلت وجوده حتى خُيّل لبعضهم أنه نكرة من النكرات ، أو مجهول من المجاهيل . ولولا أن صاحبنا قد تداركته عنايةُ الله فانتسب إلى القضاء على المذهب المالكي في وطنه لما حظي بهذه الترجمة القصيرة التي جاد بها عليه ابن فرحون في كتابه « الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب »[1] .

فبهذه الصفة نال عند ابن فرحون لقبَيْ إمام وعلامة . غير أنه لم يبخل عليه بهذه العبارات :

« واشتغل بالأدب وعلوم الاوائل ... وكان فاضلاً بارعاً له شعر حسن ونثر جيد ومصنفات عديدة في فنون ... » .

(١) طبعة القاهرة ص ٧٤ - ٧٥ .

أما المراجع الأخرى فقد وسعها ما وسع معاصريه فلم ينل منها إلا اشارات عابرة لا تطفئ غلة ولا[1] تروي ظمأ .

ونحن في هذا البحث نحاول أن نعطي صورة عن عصر التيفاشي ، وترجمة حياته ، وما أغفلته يد الزمان من آثاره ، ولا سيما كتابه القيم :«أزهار الأفكار في جواهر الأحجار» إذ هو المقصود الأهم عندنا هنا ، نظراً لما نلمسه فيه من اطلاع غزير ومعرفة دقيقة امتاز بهما المؤلف التيفاشي في موضوع الأحجار الكريمة التي كان لها شأن في الحضارة الإسلامية إلى جانب الذهب والفضة والمعادن الأخرى .

عصر التيفاشي

نضجت حضارة الامبراطورية الموحدية في الشمال الإفريقي والأندلسي ، وكان عصر يوسف بن عبد المؤمن ٥٥٨ — ٥٨٠ هـ وابنه يعقوب المنصور ٥٨٠ — ٥٩٥ هـ عصراً ذهبياً أفرغت فيه الدولة طاقاتها في الحرب والسياسة والعلوم والفنون والآداب ، وتفاعلت فيه عبقرية المغاربة والأندلسيين تفاعلاً نلمسه في هذا التراث الضخم من آثار أعلام ذلك العصر الذين كانوا في رحلة دائمة بين قرطبة واشبيلية وغرناطة وفاس ومراكش وتلمسان وبجاية وتونس . ومن هناك نجد الكثير منهم يأخذ طريقه إلى مصر والشام والعراق والحجاز .

وكان بلاط الخلافة الموحدية مجمعاً تلتقي فيه شتى الكفايات والعبقريات في العلوم النظرية والعملية إلى جانب رجال السياسة والتدبير والحرب .

وقد ردد الشرق والغرب صدى انتصار يعقوب المنصور فيه معركة الأرك سنة ٥٩٣ هـ . ذلكم الانتصار الذي كاد يعصف بأحلام الصليبيين في الفردوس

(١) انظر السخاوي في الاعلان بالتوبيخ ص ١٦٢ .

المفقود ، والذي أضفى على شخصية المنصور وعرشه في المغرب ما أضفى على شخصية معاصرة في الشرق السلطان صلاح الدين الأيوبي من اتساع النفوذ وبعد الصيت وجميل الذكر .

ولئن كانت معركة العقاب سنة ٦٠٩ هـ قد سلبت الموحدين نفوذهم السياسي فان سمة العصر وحضارة العصر ظلتا بارزتين في أرجاء امبراطوريتهم التي تجزأت الى عدة دول منها دولة الحفصيين في تونس ، وبنو زيد في الجزائر ، وبنو مرين في المغرب ، وبنو الأحمر في غرناطة .

فطابع العصر كان هو طابع العظمة ، واتساع دائرة الثقافة ، واعتماد الدولة على عدد من رجال العلوم والفنون لرفع علمها وتدبير سياستها وتثبيت نفوذها .

وشيء آخر أثر في الشمال الافريقي ، على الخصوص من الناحية الثقافية ، وهو هجرة الأندلسيين أفراداً وجماعات من وطنهم إلى بلاد المغرب العربي حيث يجدون الأمن والسلام واتساع دائرة العمل في ظل الدول الناشئة هناك .

ففي هذا العصر هاجر كل من ابن سعيد ، وابن الأبار ، وابن عميرة ، وحازم القرطاجني وغيرهم ؛ وكان لهم تأثير في الحياة العلمية قوي المفعول ما زلنا نلمس آثاره في مؤلفاتهم وفي مؤلفات معاصريهم الذين أشادوا بمعارفهم الواسعة التي نشروها هناك .

وفي المشرق العربي كانت الخلافة العباسية في بغداد تئن تحت ضربات الغزاة المغامرين ، بينما كانت دولة الأيوبيين في مصر والشام تحمل مشعل الدفاع عن الكيان الإسلامي في تلك الديار .

وكما كانت أمصار المغرب العربية وعواصمه ملجأ لعلماء الأندلس ، كانت حواضر الشام ومصر ملجأ لعلماء العراق وما إليها من البلاد الفارسية .

وجاءت دولة المماليك بعد الأيوبيين فسارت على طريقهم واتسعت أمام رجالها آفاق العلوم والفنون بسبب من لاذ بحماها من أعلام العلم والأدب والفن .

وقد كان التيفاشي من الأعلام الذين عاشوا بعصر زمناً تجلت فيه مميزات العصر بأجلى مظاهرها في نواحي الحياة المختلفة .

فمن ناحية كان الخطر الصليبي يهدد كيان البلاد الإسلامية الممتدة على ضفاف البحر المتوسط . ومن أخرى كان الوعي الديني والحماس الوطني يدفعان ذوي السلطة والنفوذ في هـذه البقعة من العالم الإسلامي إلى القيام برد الفعل والاستعداد للمعركة الفاصلة .

ولن يتأتى ذلك إلا بضم كثير من الكفايات ، وتجنيد جميع القوى الممكنة المادية منها والمعنوية .

ARCHIVE

فإذا نظرنا إلى مصر والشام من زوايا التاريخ المختلفة في هذا العصر «القرن السابع» وجدنا ميداناً يفور بتيارات متعددة في التصوف : الشرعي والبدعي ، وفي علوم الدين المختلفة ، وفي علوم التاريخ واللغة والحكمة والطب والفلك وغيرها .

فالعصر عصر ابن الحسن الشاذلي ، وابن عربي الحاتمي ، وابن دقيق العيد ، والعز بن عبد السلام ، وعبد اللطيف البغدادي وغيرهم .

كما ان العصر كان من الناحية الاقتصادية عظيم الأهمية بالنظر إلى التبادل التجاري بين الشرق والغرب ، وإلى أن رجال السلطة والنفوذ كانوا لا ينفكون يبحثون عن الرصيد الذي يكنز في الخزائن من ذهب وفضة وأحجار كريمة لوقت الحاجة اليها عندما ترجف بهم راجفة من رواجف الحروب والفتن والثورات .

والمؤرخون المغاربة يروون في هذا الموضوع عدة قصص ووقائع عن اهتمام الملوك والوزراء بجمع الأحجار والتغالي في اقتنائها ، ونجد ذلك نفسه عنـد المؤرخين المشارقة .

وقصة اللؤلؤة التي فُقدت في مجلس الناصر الموحدي لما عرضت صحاف الأحجار الكريمة على أعيان الدولة شهيرة في كتب التاريخ[١] .

وقصص الهدايا المتبادلة بين ملوك المغرب وملوك مصر والشام وما تحتوي عليه من نفائس الأحجار نجدها في كل كتاب يؤرخ القرن السابع .

في هذا العصر عاش التيفاشي في موطنه الأول بتونس متصلاً بالحفصيين ، وفي موطنه الثاني بالقاهرة متصلاً بدولة المماليك .

ما نعرفه عن التيفاشي

هو أبو العباس ، وأبو الفضل أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبي بكر بن حمدون ابن حجاج بن ميمون بن سليمان بن سعيد القيسي . ولا شك أن هذا النسب الطويل الذي نقلناه من ابن فرحون ، مع النسبة إلى قيس ، يدلنا على أن صاحبنا كان من أسرة ذات جاه وحسب ونسب شأن الأسر التي اشتهرت إذ ذاك بالعلم وولاية المناصب في القضاء والفتوى والوزارة والحجابة وغيرها من المناصب الرفيعة .

ويذكر المؤرخون أن الخليفة عبد المؤمن بن علي الموحدي لما دخل إفريقية عام الأخماس ٥٥٥ هـ مدحه الفقيه محمد بن أبي العباس التيفاشي بقصيدة كان مطلعها : ما هزَّ عِطفَيهِ بين البيض والأسَلِ مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي[٢]

فأمره الخليفة بالاقتصار على المطلع لأنه في نظره حوى كل شيء !

وصاحب القصيدة هو ولا شك عم والد صاحبنا كما يظهر من سلسلة النسب التي قدمناها .

(١) انظرها في الإعلام بمن حل مراكش من الأعلام ج ٣ ص ٨٤ .
(٢) الاستقصاء ج ٢ ص ١٤٥ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتيفاش التي تنسب اليها أسرته هي تيفاش (الظالمة) التي حدثنا عنها ياقوت في المعجم وقال : « انها مدينة أزلية بإفريقية شامخة البناء تسمى تيفاش الظالمة ذات عيون ومزارع كثيرة وهي في سفح جبل » .

وكانت تيفاش في القديم تعد من قرى قفصة المدينة التونسية الشهيرة في الجنوب الغربي ، وهي الآن من عمالة قسنطينة بالقطر الجزائري . وصاحبنا يُنسب تارة إلى تيفاش ، وأخرى إلى قفصة ، وثالثة إلى القاهرة . والمتتبع لكلام صاحب كشف الظنون عن كتب التيفاشي يجده يذكر هذه النسبات الثلاث .

ولد أبو العباس بتيفاش كما يقول ابن فرحون سنة ٥٨٠ هـ ، وقضى صباه الأولى بين تيفاش وقفصة حيث كان أبوه قاضياً بها ، وهناك أخذ مبادىء العلوم عن أفراد من أسرته ، ثم دخل تونس العاصمة فأخذ عن شيوخها ، لكن نفسه طمحت إلى الشرق فارتحل وهو صغير السن كما يقول ابن فرحون ، إلى القاهرة ، وأخذ عن الطبيب الشهير عبد اللطيف البغدادي ، ثم إلى دمشق ، وأخذ عن تاج الدين الكندي .

لا ندري المدة التي قضاها التيفاشي في الشرق ، ولكننا نعلم أنه رجع إلى وطنه ليتولى منصب القضاء في ظل الدولة الحفصية التي كان بلاطها إذ ذاك يزخر بالأعلام كحازم القرطاجني ، وابن الأبار ، وابن سعيد وغيرهم .

ثم يرجع صاحبنا إلى الشرق ليقوم بعدة رحلات إلى أرمينية والعراق وفارس نجد صداها خلال المعلومات والتجارب التي قدمها لنا في كتابه الذي بين أيدينا .

وأخيراً يستوطن القاهرة ، ويعكف على تدوين كتبه التي نعرف عنها القليل ونجهل الكثير .

وفي القاهرة اتصل به المؤرخ الأندلسي الكبير أبو الحسن علي بن موسى ابن سعيد فاستفاد كل منهما من صاحبه استفادةً نجدها خلال كلام ابن سعيد

في كتابه « الغصون اليانعة » حيث ينقل ابن سعيد أخبار الشاعر التأمغري [١] عن صديقه التيفاشي ؛ وكذلك عند حديثه عن الشاعر ابن الساعاتي نجده يستشهد برأي التيفاشي [٢] .

وفي كتاب « اختصار القدح المعلّى » لابن سعيد نجده ينقل أيضاً عن التيفاشي بعض أخبار الشعراء [٣] .

ولا يكتفي بالنقل بل يجيز صديقه التيفاشي إجازةً وُجدت بخطه في آخر كتابه « المغرب في محاسن أهل المغرب » وقد ذكر ذلك المقري في نفح الطيب [٤].

وفي القاهرة نال حظوة مكينة عند أعيانها ورجال الحكم فيهــا ، فألف باسمهم عدة كتب ، منها كتابه هذا : أزهار الأفكار ، الذي كان يؤلفه في سنة ٦٤٠ هـ ، كما يذكر في الكتاب ، أي قبل وفاته بإحدى عشرة سنة لأنه ودع هذه الحياة سنة ٦٥١ هـ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مؤلفاته

يذكر لنا صاحب هدية العارفين ج ١ ص ٩٤ قائمة كتبه هكذا :

١ — أزهار الأفكار في محاسن الأحجار .

٢ — الدرة الفائقة في محاسن الأفارقة .

٣ — رجوع الشيخ إلى صباه .

٤ — سجع الهديل في أخبار النيل .

٥ — سرور النفس بمدارك الحواس الخمس .

---

(١) انظر ص ٥٩ .

(٢) انظر ص ١٢٤ .

(٣) انظر ص ١٦٤ .

(٤) انظر ج ٣ ص ٩٧ .

٦ — الشفا في الطب النبوي .

٧ — فصل الخطاب في ٢٤ مجلداً .

٨ — قادمة الجناح .

وغير ذلك ...

وقد اطلعت أخيراً على مخطوطة تحمل عنوان « نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب » لابي العباس التيفاشي . وموضوعها وصف الحياة الجنسية في محاسنها ومباذلها وصفاً مدققاً غريباً في بابه ! والمخطوطة دخلت المكتبة العامة بالرباط عدد ١٥٣٣ .

كتاب أزهار الأفكار

يبدأ أبو العباس التيفاشي كتابه بهذه العبارات :

« وبعد : فإن هذا الكتاب غريب الوضع ، عجيب الجمع ، عظيم النفع ، ضمنته في ذكر الأحجار الكريمة التي توجد في خزائن الملوك وذخائرهم ، وفي ذخائر الرؤساء والوزراء مما لا يستغني عن اقتنائه ملك كبير ، ولا وزير خطير ، لما يشتمل عليه من عظيم منافع وعجائب الخواص . ولم اشرك بها شيئاً من الأحجار المتداولة في أيدي العوام ، العارية عن الخواص الجسام ، والمنافع العظام ؛ ولا أذكر شيئاً من الأحجار الشاذة المعدومة أو النادرة الوجود ، ان كان ذلك مما لا طائل ولا جدوى في ذكره . وانما ينتفع بذكر الحاصل في الوجود ، لا الداخل في جنس المعدوم المفقود . وجملة الأحجار المثبتة فيه خمسة وعشرون حجراً وهي هذه الأبواب :

١ — في ذكر الجوهر ومعادنه وصفات غوصه ومنافعه ٢ — في الياقوت ومعادنه واختلاف ألوانه وخواصه ٣ — في الزمرد ومعادنه وخواصه ومنافعه ،

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤ — في الزبرجد ومعادنه ، ٥ — في البَلَخْش وعلة تكوُّنه في معدنه ، ٦ — في البَنَفْش ومعادنه واختلاف ألوانه ، ٧ — في البِجادي وعلة تكونه في معدنه ، ٨ — في الألماس وعلة تكونه في معدنه وجيده ورديئه ، ٩ — في عين الهرّ وعلة تكوينه ، ١٠ — في البَادزَهر وعلة تكونه في معدنه ، ١١ — في الفَيْرُوزَج وأصل تكوينه في معدنه ، ١٢ — في العقيق ، ١٣ — في الجزع ، ١٤ — في المغناطيس ، ١٥ — في السُّنْباذَج ، ١٦ — في الدَّهْنَج ، ١٧ — في اللاَّزَوَرْد ، ١٨ — في المرجان ، ١٩ — في السَّبَج ، ٢٠ — في الجَمَشت ، ٢١ — في الخُمَاهان ويعرف بالصندل الحديدي ، ٢٢ — في اليَشْم ، ٢٣ — في اليَشَب ، ٢٤ — في البِلَّوْر ، ٢٥ — في الطَّلْق .

هذه هي الحجارات التي فصل الكلام عليها في هذا الكتاب . وقد اختصرنا من العبارات التي استعملها المؤلف عند تقديمه أبواب كتابه .

وبعد ذلك يشرح لنا المنهج الذي ارتضاه لمعالجة موضوعه فيقول :

« وسبيلنا أن نتكلم على كل واحد من هذه الأحجار المعدودة من خمسة أوجه : الوجه الأول : على تكوينه في معدنه . والثاني في ذكر معدنه الذي يتكون فيه . والثالث في جيده ورديئه وخالصه ومغشوشه . والرابع في ذكر خواصه ومنافعه . والخامس في ذكر قيمته وثمنه على أوسط الأمور وأغلب الأحوال ، فيكون هذا الكتاب بذلك زائداً على الكتب الموضوعة في هذا الفن من عدة وجوه ؛ إذ الكتب الموضوعة إما أن تذكر فيها منافع الأحجار ككتب الجواهر ، وإما أن تذكر فيها علة تكوينات الأحجار ككتب المعادن ، وإما أن تذكر الأمور جميعاً ولا تتعرض لذكر قيمتها وأثمانها . فلأجل ذلك كان هذا الكتاب أعمّ فائدة ، وأجدى عائدة ، من سائر الكتب الموضوعة في هذا الفن والله ولي التوفيق وبه الإعانة » .

وقد أخلص المؤلف لمنهجه هذا فتناول معلومات عصره بالجمع والترتيب والشرح ؛ ولكنه زاد على ذلك شيئاً آخر وهو التجربة الشخصية والاستخبار والاستعلام ، فيختبر تارةً ، ويسأل أهل المعرفة تارة أخرى ، ويضم ذلك إلى ما وجده في كتب الأقدمين ، من أرسطو ، إلى الكندي ، إلى المسعودي ، إلى غيرهم من المؤلفين اليونان والمسلمين ، شرقيين وأندلسيين .

وكثيراً ما نجده يقول : « ومما جربته ، واختبرته ، ووقفت عليه بالعمل ؛ وأخبرني من دخل جزيرة سرنديب (سيلان) ... وقد رأيت بسوق القاهرة حجارة تباع على أنها الياقوت أزرق وأصفر وهي مصبوغة مدلسة كان أصلها ياقوتاً أبيض » .

ونجده عند ذكر الزمرد يذكر عيوبه وخواصه . ومن جملة هذه الخواص أن بعض أنواعه إذا نظرت اليه الأفاعي انفقأت عيونها !

ولا يكتفي بذكر هذه الخاصة التي رآها في كتب الأقدمين ، بل إنه جربها عملياً فاستأجر حاوياً على صيد أفعى وجعلها في طست وأدنى قطعة الزمرد من عينيها فسمع فرقعة خفيفة ! ثم رأى عيني الأفعى وقد برزتا على وجهها !

وبذلك أرضى حاسة استطلاعه وتجربته ، وخرج من الشك إلى اليقين في هذه الخاصة العجيبة !

والتيفاشي في سبيل الحصول على معلومات دقيقة في موضوعه الذي اختاره لهذا الكتاب ينقل عن الجوهريين والصيادين والرحالين والتجار والأمراء وأمناء قصور الملوك ممن لا يشك في معرفتهم وتجربتهم وصدقهم :

فهذا تاجر أندلسي يصادفه في سوق الجوهريين بالاسكندرية ؛ وهذه حجارة من معدن البادزهر يجدها في تخوم أرمينية ؛ وهذا جوهري من بلاد الفرس

وذلك من الصين أو الهند لا يدعيهم المؤلف دون أن يأخذ ماعندهم من أخبار الجواهر وأثمانها ومظانها . ويربط ذلك كله بما درسه في الكتب أو سمعه من شيوخ الصناعة . وبذلك كان كتابه غزير المادة العلمية لمن أراد هذا النوع من البحث في تاريخ الحضارة الإسلامية .

والتيفاشي في كتابه الذي بين أيدينا وإن كان يبدو أكثر دقة وبحثاً وإحاطة بموضوعه ، فإنه يمثل عصره أصدق تمثيل في الخلط بين الصيدلة والطب وعلم المعادن ، كما يمثل أهل طبقته في الجمع بين الروحانيات والماديات والحقائق والأساطير .

ونحن على يقين أن العقلية التي كانت مسيطرة على رجال كثير من العلوم والفنون في العصور الوسطى هي العقلية التي يمكننا أن نسميها عقلية البحث عن الغرائب والعجائب ، ونجدها عند بعض الجغرافيين والرحالين والمؤرخين ، كما نجدها عند الباحثين في الأعشاب والعقاقير والمعادن .

ورغم هذه العقلية التي كانت مسيطرة فإن التيفاشي فيما يبدو كان أكثر تحفظاً وأكثر إمعاناً في أخذ المعرفة عن طريق التجربة . وكتابه أقل الكتب التي رأيناها خرافات وأساطير . والمقارنة بينه وبين غيره من الكتب المؤلفة في نفس الموضوع أو ما يقرب منه ترينا الفروق الواضحة بين من ينقل من الكتب ويسمع من الأقوال من دون انتقاد ولا تجربة ، وبين من يحاول الوصول إلى الحقيقة عن طريق التمحيص والاختبار الممكنين في ذلك العصر .

والذي يظهر من دراسة كتاب « أزهار الأفكار » أن التيفاشي كان يزاول مهنة « الجوهرية » بالفعل ، وكان قائماً بنفسه على معالجة الجواهر بالنار وأصناف العقاقير التي تؤثر في ألوانها وأوصافها وخواصها وجودتها ورداءتها ، وكان يملك منها عدة أنواع ، ويضرب في الأرض طولاً وعرضاً لاقتنائها ثم عرضها على الملوك والأمراء والوزراء من أجل نيل حظوة ومال .

وقد قدم لنا في المنهج الذي ارتضاه لكتابه أنه سوف يعتني بذكر قيمة الأحجار وثمنها في الأسواق ولا يتأتى هذا إلا لجوهري محترف مطلع على ما يروج في الأسواق المختلفة .

وقد أفادنا المؤلف بذلك فائدة غير مباشرة وهي أنه عرض علينا عدداً من السكك الرائجة في عصره في كل من الهند وفارس ومصر والعراق والمغرب ، عندما كان يُقوِّمُ الأحجار بقيمتها الحقيقية في كل من هذه الأقطار وبذلك أعطانا سُلّماً ودليلاً للتحويل والصرف في ذلك العصر ؛ وبذلك تأكد لنا ما نعرفه سلفاً من الاختلاف الذي كان في السكك والموازين والمكاييل ووحدات المساحة في الأعصار والأمصار ، وكذلك في العصر الواحد ، والمصر الواحد .

بعد هذا نستعرض مثالين من كلام التيفاشي لتدعيم هذه النتائج التي استنتجناها من الكتاب ، ننقل أولاً ما كتبه عن اللازورد حيث يقول :

معدنهُ : الذي يتكون فيه اللازورد يجلب من خراسان ، من جبل بطخرستان في موضع يسمى حسنان من أرض فارس قريب من ناحية ارمينية (كذا) .

جيده ورديئه : اللازورد حجر طيني . وأجوده أشده وأصفاه لوناً السماوي المستوي الصّبغ إلى الكحلية .

خواصه في نفسه : منها إذا جُمع إلى حجر الذهب ازداد كل واحد منهما حسناً إلى صاحبه في أعين الناظرين وإن كانا لا يستحيلان عن كيانهما ولا يزدادان ولا ينقصان إلا أنهما يحسن كل واحد منهما لون صاحبه في العيون كأنهما شكلان متفقان .. ومنها أنه إذا وضعت قطعة منه في جمر ليس له دخان خرج لسان الجمر من النار منصبغاً بصبغه ، وبهذا يختبر خالصه من مغشوشه .

ثم يذكر الطريقة التجريبية التي كانت مستعملة في عصره لاستخراج صبغ اللازورد من معدنه .. بأدواتها وعقاقيرها وأسرارها ! ويعقب على ذلك قائلاً .

« .. ولم أنقله من كتاب بل هو من جملة ما وقفت عليه بالتجربة من صحيح كتبنا في الأعمال الصناعية » .

هذا مثال أول من المعلومات التي قدمها التيفاشي في كتابه وهذه طريقته .

ولنقدم مثالاً ثانياً مما كتبه عن معدن الزمرد :

« موضع الزمرد الذي يؤتى منه من بلاد مصر والسودان خلف أسوان يوجد في جبل هناك ممتد كالجسر ، فيه معادن تحفر فيخرج منها الزمرد قطعاً صغاراً كالحصى منبثة في تراب المعدن وأخبرني رأس المؤتمنين بمصر المكلف من قبل السلطان بهذا المعدن أن أول ما يظهر من معدن الزمرد شيء يسمونه الطلق[1] وهي حجارة سوداء إذا أحمي عليها في النار أخرجت مرقشيثا[2] ذهبية . قال ثم تحفر فتجد طاقاً هشاً فيه الزمرد في تربة حمراء لينة مشتملة عليه .. » .

وهكذا يستمر التيفاشي يشرح لنا معلوماته الدقيقة عن خمسة وعشرين نوعاً من أنواع الأحجار الكريمة التي كانت مشهورة في عصره ، متتبعاً منهاجه الدقيق في الترتيب والتبويب .

ولا نودع صاحبنا دون أن نشير إلى نقطتين اثنتين :

١ — لغة التيفاشي ذات اصطلاحات فنية دقيقة ، وفي سبيل الدقة الفنية يستعمل أوصافاً ونعوتاً خاصة لا نجدها في كتب اللغة المتداولة .

فيقول عن بعض الأنواع : إن فيها « ذكراً » و « أنثى » ، وهو يعني الرديء والجيد ؛ كما يقول في بعض الألوان هذا « مغلوق » وهذا « مفتوح » ، يعني

---

(١) ما زال هذا الاسم عند الأوربيين هكذا Talc .

(٢) حجر النار .

شديداً وخفيفاً ، وله استعمالات لغوية جديدة بأن تكون رائد المهتمين بنقل الاصطلاحات الفنية من اللغات الأجنبية إلى لغة الضاد .

٢ – عرف الاستشراق أهمية كتاب أزهار الأفكار فطبع أولاً بعناية « رَاوْ » الهولندي سنة ١٧٨٤ م مع ترجمة لاتينية . ثم طبع مع ترجمة ايطالية سنة ١٨١٨ م ..

وكل من الطبعتين الآن أندر من الكبريت الأحمر . فعسى أن تكون كلمتنا هاته باعثاً على اعادة النظر في مخطوطاته المتعددة وطبعها طبعة عربية سليمة[1] .

فاس : (المغرب الاقصى) عبد القادر زمامة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) تراجع الأسماء الفرنسية للأحجار الكريمة وما يقابلها من الأسماء العربية في كتاب « مُختَب الذخائر في أحوال الجواهر » لابن الأكفاني ، حققه الأب أنستاس ماري الكرملي وطبعه في المطبعة العصرية لصاحبها الياس انطون الياس في القاهرة سنة ١٩٣٩ وتراجع ملاحظات الدكتور الجلبي على تحقيق الكرملي ، في هذه المجلة « ج ١٩ ص ٢٤٠ و ٣٤٣ ، وتراجع مادة Pierre Précieuse في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي « الطبعة الثانية في مطبعة مصر بالقاهرة سنه ١٩٥٣ » .
(لجنة المجلة)

الاصطلاحات الفلسفية

-١٨-

الحاجة

في الفرنسية Besoin

في الانكليزية Want, need

الحاجة هي أن يكون الموجود على حال يفتقر فيها إلى ما هو ضروري لبلوغه غاية ما، سواء أكانت تلك الغاية داخلية أم خارجية، معلومة لديه أم مجهولة. مثال ذلك: حاجة الحيوان إلى الحركة، وحاجة النبات إلى الماء. وإذا كانت الغاية المراد بلوغها ذاتية دلت الحاجة على ما يفتقر إليه الموجود من الوسائل الضرورية لبقائه ونموه، سواء أكان حاصلاً عليها بالفعل، كما في حاجة السمك إلى الماء، أم كان غير حاصل عليها بالفعل، كما في حاجة الفقير إلى المال. أما في علم النفس فيطلق لفظ الحاجة على الشعور بالألم الناشيء عن الحرمان. وهذا الشعور مصحوب في أكثر الأحيان بتصور الغاية المقصودة وتصور الوسائل المؤدية إليها.

ويجمع لفظ الحاجة على حاجات وحوائج، مثل الحوائج اللازمة لبقاء الإنسان من غذاء وملبس ومسكن وغيرها، كما في الحديث الشريف: «إن لله عباداً خلقهم لحوائج الناس، يفزع الناس إليهم في حوائجهم ... الخ» وكما في قول ابن خلدون: «إن المصر الكثير العمران يختص بالغلاء في أسواقه وأسعار حاجاته» (المقدمة،

فصل في أن الحضارة غاية العمران ونهاية لعمره، وانها مؤذنة بفساده، ص ٢٠٣).

وفرقوا بين الضرورة والحاجة والرغبة فقالوا:

الضرورة قانون طبيعي كاضطرار الحيوان إلى الغذاء، فإن حياته لا تدوم إلا به.

أما الحاجة فهي ظاهرة نفسية، لأن حاجة الإنسان إلى الغذاء هي شعوره بضرورته، وتتألف الحاجة من عنصرين يمكن فصلها أو توحيدهما، وهما: (١) الألم الناشيء عن الشعور بالحرمان، كالجوع والعطش، فإنها إحساسان مؤلمان ناشئان عن ضرورة الغذاء للبدن. (٢) الميل إلى الفعل المزيل لذلك الألم. ومعنى ذلك ان الإنسان قد يشعر بالحاجة إلى الطعام من غير أن يريده، وقد يقبل عليه من غير أن يكون مضطراً أو محتاجاً إليه.

وأما الرغبة فهي نتيجة تصور وحكم، مثال ذلك ان قوام الرغبة في الأكل تصور الحاجة اليه، والحكم بأن هذا الشيء، وهذا الفعل صالحان لإرضاء تلك الحاجة.

وفرقوا أيضاً بين الحاجة والشهوة أو النزوع بقولهم: ان النبات في حاجة إلى الماء، ويعنون بذلك ان الماء ضروري له. أما الشهوة فمصحوبة بألم الحرمان، فلو شعر النبات بالحرمان لكانت حاجته إلى الماء شهوة، وكذلك النزوع أو الميل إلى الشيء، فهو مبدأ حركة، ونعني بذلك انه قوة تحول القوى المضادة لها دون قيامها بعملها، و إرادة متوقفة عن الفعل لعدم حصولها على الوسائل اللازمة لتنفيذه.

وعلى ذلك فالحاجة والشهوة والميل ظواهر نفسية انفعالية، إذا انضم اليها تصور الشيء أصبحت رغبات. قال (مين دوبيران): ان اشتهاء الحيوان ما لا يعلم حاجة، أما ميل الإنسان إلى ما يعلم فرغبة. وللرغبة في نظره ثلاثة شروط وهي: (١) الانفعال أو الحاجة الى الشيء. (٢) التصور المبهم لموضوع تلك الحاجة. (٣) الاعتقاد التابع لذلك التصور.

الحادث

في اللاتينية	Factum
في الفرنسية	Fait
في الانكليزية	Fact

الحادث هو الواقع ، وحدث أمر أي وقع . وكل حادث فهو على وجهين : أحدهما هو الذي لذاته مبدأ هي به موجودة ، والآخر هو الذي لزمانه ابتداء ، وهو في كلا الحالين أمر مسلّم به متحقق في الأذهان أو الأعيان . والفرق بين الحادث والشيء أن الشيء حقيقة ثابتة مؤلفة من الصفات الموجودة في المكان ، على حين ان الحادث حقيقة متحركة منسوبة إلى الزمان ، مثال ذلك ان التفاحة شيء ، أما سقوطها إلى الأرض فحادث . ولكن الفيلسوف يستطيع أن يجمع بين الشيء والحادث في تصور واحد ، فيجعل الحادث شيئاً ويتصوره ثابتاً مستقلاً عن التتابع الزماني ، ويجعل الشيء حادثاً ويتصوره متبدلاً ومتغيراً .

والحادث أعم من الظاهرة (Phénomène) ، لأنّ الظاهرة تدل على ما يمكنك رؤيته أو ملاحظته ، على حين أنّ الحادث يدل على ما يُرى وما لا يُرى . وله محل في الزمان (كالحادث النفسي) ، أو في الزمان والمكان معاً (كالحادث الفيزيائي) . أما الواقعة فهي الحادث الذي يكون وجوده الزماني أكثر خطورة من وجوده المكاني (كالواقعة التاريخية) .

والواقعي ضد الوهمي والخيالي من جهة ، وضد الضروري من جهة أخرى ، لأن المراد بالضروري ما أوجبه العقل . مثال ذلك قول ليبنيز : « حقائق القياس ضرورية وضدها ممتنع ، أما حقائق الواقع فجائزة » (المنادولوجيا ، الفقرة ٣٣) .

والحادث أو الواقع ضد الحق والواجب ، وأكثر استعمال هذا المعنى في المسائل الشرعية .

والحادث عند فلاسفة العرب هو ما يكون مسبوقاً بالعدم ، ويسمى حادثاً زمانياً . وفرقوا بين الحدوث الزماني والحدوث الذاتي فقالوا : الحدوث الزماني هو كون الشيء مسبوقاً بالعدم سبقاً زمانياً ، أما الحدوث الذاتي فهو كون الشيء مفتقراً في وجوده إلى الغير (تعريفات الجرجاني) . ومنهم من فرق بين الحادث والمُحدَث فقال: الحادث هو القائم بذاته ، والمُحدَث هو ما لا يقوم بذاته .

الحاصل

في اللاتينية	Quotiens
في الفرنسية	Quotient
في الانكليزية	Quotient

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحاصل اسم الفاعل من الحصول ، ويطلق في علم الحساب على ما يحصل بعمل من الأعمال الحسابية من الجمع والطرح والضرب والقسمة . وحاصل القسمة يسمى الخارج من القسمة . يقال هذا حاصل المال ، أي باقيه بعد الحساب . وحاصل الموضوع خلاصته ، والحاصل ما خلص من الفضة ونحوها من المعادن .

والحاصل العقلي في علم النفس هو نسبة العمر العقلي إلى العمر الحقيقي ، فإذا كان عمر الطفل عشر سنوات ، وكان عمره العقلي اثنتي عشرة سنة كان حاصله العقلي $\frac{١٢}{١٠}$ أي ١٫٢٠ . وإذا كان عمره الحقيقي ١٢ سنة وعمره العقلي ١٠ كان حاصله العقلي $\frac{١٠}{١٢}$ أي ٠٫٨٣ ، وإذا اعتبرنا متوسط الذكاء ١٠٠ كان الحاصل العقلي في الحالة الأولى ١٢٠ وفي الحالة الثانية ٨٣ . وعلى ذلك فالحاصل العقلي عند المعتوه أقل من ٣٠ وعند الأبله أكثر ٢٠ وأقل من ٣٠ .

والحاصل عند ابن سينا مرادف للوجود . قال : « لا فرق بين الحاصل والموجود » (الشفاء ٢، ٢٩٦) . وقال أيضاً : « إذا حصل بدنان حصل في البدنين نفسان » (النجاة ص ٣٠١) ، فمعنى الحاصل عنده اذن الموجود الذي انتقل من القوة إلى الفعل ، وهو مضاد للممكن أي لما يمكن أن يحصل في المستقبل .

الحاضر

في اللاتينية	Praesens
في الفرنسية	Présent
في الانكليزية	Present

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حضر الغائب حضوراً قدم ، وحضر الشيء أو الأمر حلّ وقته فهو حاضر . والحاضر اما أن يكون صفة ، أو يكون اسماً .

فإذا كان صفة دلّ على المعاني الآتية :

١ – الحاضر هو الحاصل في الذهن ، تقول المعنى الحاضر بالذهن أي الحاصل فيه .

٢ – الحاضر هو السريع ، تقول فلان حاضر البديهة ، أي سريع الخاطر كما في قول (ديكارت) : كثيراً ما تمنيت أن تكون لي ذاكرة حاضرة .

٣ – الحاضر هو الموجود في الزمان ؛ مثال ذلك قولنا : الفلسفة تنتصر على الآلام الماضية والآتية ، ولكنها قلما تنتصر على الآلام الحاضرة .

٤ – الحاضر هو الموجود في المكان ، تقول : الحاضر بالمجلس أو الحاضر بالدار .

وإذا كان اسماً دل على المعنيين الآتيين :

١ – الحاضر هو الزمان الواقع بين الماضي والمستقبل ، ويسمى حالاً وهو نهاية الماضي وبداية المستقبل ، فكل ما هو متأخر عن اللحظة الحاضرة مستقبل ،

وكل ما هو متقدم عليها ماض ، ومن قبيل ذلك قول ليبنيز : الحاضر مثقل بالماضي وممتلئ من المستقبل .

٢ — الحاضر أحد أزمنة الفعل كالمضارع فهو يدل على الحاضر والمستقبل ، وقد سمي مضارعاً لمشابهته الأسماء فيما يلحقه من الإعراب . فاذا قلت إن الأستاذ يشرح الدرس تعين ذلك للزمان الحاضر ، وإذا قلت كل عدد يقسم عددين فهو يقسم مجموعهما دلّ ذلك على فعل مستقل عن الزمان .

والحضور (Présence) نقيض المغيب والغيبة ، تقول: حضره الأمر خطر بباله ، ومنه حضور المعاني بالذهن .

والحضور الحضرة ، تقول : كلمته بحضرة فلان . والحضرة أيضاً قرب الشيء، يقال كنت بحضرة الدار ، ومنه الحضرات الإلهية عند الصوفيين ، كحضرة الغيب المطلق ، وحضرة الشهادة المطلقة ، وحضرة الغيب المضاف ، والحضرة الجامعة (راجع معاني هذه الألفاظ في تعريفات الجرجاني) .

والحضورية (Présentationnisme) مذهب مَنْ يري ان النفس تدرك بعض صفات المادة ادراكاً مباشراً على ما هي عليه في الخارج . ومعنى الحضورية هنا كون المعاني الخارجية موجودة في الذهن .

والحضور الكلي (Omniprésence) صفة لله تعالى ، ومعناها انه جل جلاله حاضر بكل مكان .

والحاضر الأبدي (L'eternel présent) عند الفيلسوف (لافل) هو الدوام الذي تتألف منه حقيقة الزمان . (راجع لافل: جدل الحاضر الأبدي
(Louis lavelle, Dialectique de l'éternel présent

الحال

في اللاتينية	Status
في الفرنسية	État
في الإنكليزية	State

حال الشيء صفته وهيئته ، وحال الدهر صرفه ، وحال الإنسان ما كان عليه من خير أو شر ، وما يختص به من الأمور المتغيرة حسية كانت أو معنوية . ولفظ الحال يذكر ويؤنث ، وهو ولفظ الحالة بمعنى واحد ، إلا ان الأول ينبيء عن الإبهام فيناسب الإجمال ، والثاني يدل على الإفراد فيناسب التفصيل .

ويطلق الحال على معان متقاربة ، كالكيفية والمقام والهيئة والصفة والصورة ، فإذا دلّ على كيفية معيّنة كان من شأن هذه الكيفية أن تزول بظهور ما يعقبها ، فإذا دامت وصارت ملكاً سميت مقاماً . لذلك قال المناطقة : الحال كيفية سريعة الزوال مثل الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة العارضة . قال ابن سينا : « بالفصول ينقسم الشيء إلى أنواعه ، وبالأعراض ينقسم إلى اختلاف حالاته » . (النجاة ٣٢٣) .

وإذا أطلق لفظ الحال على الهيئة النفسانية دلّ عليها أول زمان حدوثها قبل أن ترتسخ ، فإذا ارتسخت سميت ملكة . قال ابن سينا : « فما كان منها ثابتاً سمي ملكة مثل العلم والصحة ، وما كان سريع الزوال سمي حالاً مثل غضب الحكيم » (النجاة ١٢٨) .

والفرق بين الملكة والصفة ان الملكة تدل على المعاني الراسخة أي الثابتة الدائمة ، على حين أن الصفة أعم منها ، لأنها تطلق أيضاً على ما هو في حكم الحركات كالصوم والصلاة وغيرها .

والحال عند الفلاسفة القدماء أعم من الصورة لصدق الحال عندهم على العرض أيضاً ، أما الصورة فلا تصدق إلاّ على الجوهر .

ويطلق الحال في اصطلاح المتكلمين على ما هو وسط بين الموجود والمعدوم ، وهو صفة لا موجودة ولا معدومة ، لكنها قائمة بموجود ، كالعالمية وهي النسبة بين العالم والمعلوم . والحال في اصطلاح السالكين هو ما يرد على القلب من طرب أو حزن ، أو بسط أو قبض . فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب ، الأولى تأتي من عين الجود ، والثانية تحصل ببذل المجهود .

والحالة الشعورية Etat de conscience في اصطلاح المحدثين هي الحادث النفسي الشعوري ، كالإحساس والعاطفة والارادة . أما الحالة النفسية فهي الكيفية التي تكون عليها النفس في وقت معين .

والحالة الطبيعية (Etat de nature) هي الصفة التي يكون عليها الناس في مقام البداوة ، أو هي الحال التي يكون عليها الفرد قبل تربيته وتعليمه ، ومنه تشبيه الطفل بالانسان الابتدائي .

ويطلق (غروسيوس) و (وهوبس) اصطلاح الحالة الطبيعية على حال الانسان قبل التنظيم الاجتماعي ، أو على الحال التي يؤول اليها أمر المجتمع إذا أهمل تربية أفراده ، وتهاون في وضع قوانينه ، وتراخى في اقامة نظام حكمه على قواعد ثابتة .

الحبّ

في اللاتينية	Amor
في الفرنسية	Amour
في الانكليزية	Love

الحب نقيض البغض وهو الوداد والمحبة ، والميل إلى الشيء السار ، والغرض منه إرضاء الحاجات المادية أو الروحية ، وهو مترتب على تخيل كمال في الشيء السار

أو النافع يفضي إلى انجذاب الإرادة إليه ، كمحبة العاشق لمشوقه ، والوالد لولده ، والصديق لصديقه ، والمواطن لوطنه ، والعامل لمهنته . وقد يكون الحب ناشئاً عن عامل غريزي ، أو عامل كسبي ، أو عامل انفعالي مصحوب بالإرادة ، أو عامل إرادي مصحوب بالتصور . وهو على كل حال لا يخلو من التخيل . وأظهر أشكاله الحب الجنسي ، وله درجات مختلفة أولها الموافقة ، ثم المؤانسة ، ثم المودة ، ثم الهوى ، ثم الشغف ، ثم التيم ، ثم الوله ، ثم العشق .

وإذا دلّ الحب على معنى مضاد للأنانية كان الغرض منه : إمّا جلب المنفعة إلى الغير كمحبة الرحيم للبائس ، ومحبة الأستاذ للتلميذ ، وإمّا إنكار الذات والتجرد من المنفعة ، والانجذاب إلى القيم المثالية ، كمحبة العالم للحقيقة ، والشاعر للجمال ، والكريم للعدل . قال تولستوي : أساس المحبة الحقيقية الزهد في النفع الشخصي ، فإذا زهد الإنسان في الأشياء المادية ارتقى إلى مرتبة من المحبة الروحانية مبنية على تصور الكمال المطلق ، وهي محبة الله ، أعني محبة الله لذاته لا لثوابه وإحسانه . وكلما كان اطلاع الإنسان على دقائق حكمة الله أكمل كان حبه له أتم .

والفرق بين الحب والرغبة ان الرغبة حالة آنية ، على حين ان الحب نزوع دائم يتجلّى في رغبات متتالية ومتناوبة .

وفرقوا في الحب بين الأخذ والعطاء ، فقالوا : إذا ظن المحب ان محبوبه ملك له لا يشاركه فيه أحد كان حبه أخذاً واستئثاراً ، كمحبة الطفل لوالدته . وإذا وهب المحب نفسه للمحبوب كان حبه عطاء ، والعطاء أسمى من الأخذ .

وفرقوا أيضاً بين الحب الشهواني (Amour de concupiscence) والحب العذري أو الحب الأفلاطوني (Amour platonique) ، فقالوا الحب الشهواني أناني غايته ارضاء رغائب المحب وآربه وشهواته . والحب العذري حب محض مجرد من

الشهوة والمنفعة ، وله درجتان : درجة الرضا واللطف ، ودرجة الاحسان والرحمة . أما حب الرضا واللطف (Amour de Complaisance) فمترتب على رضا المحب وفرحه بكمال المحبوب وخيره وسعادته ، فهو اذن حب خالص مجرد من المنفعة كمحبة الله لذاته . وهذا الحب هو الوجه الانفعالي لتجلّي الرحمة الإلهية في الحياة الإنسانية . وأما حب الإحسان فمترتب على إرادة المحب خير المحبوب ، كمحبة الإنسان للإنسان من حيث هو انسان .

ويطلق اصطلاح حب الذات (Amour propre) عند الفلاسفة المحدثين على معنيين : الأول هو حب الإنسان لنفسه ، وهو مرادف للأنانية (Égoïsme) والثاني عزة النفس ، وهي مرادفة للأنفة والاباء والكرامة والشهامة . ولها نتيجتان : الأولى رغبتنا في العمل الصالح الموجب لاستحقاق المدح والتكريم والحظوة بالمكانة عند الناس ، والثانية سرعة تأثرنا برأي الناس فينا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحبسة (أو فقد النطق)

في الفرنسية Aphasie

في الانكليزية Aphasia

وهو مشتق من اللفظ اليوناني (Aphasia)

الحبسة تعذر الكلام أو ثقل في اللسان يمنع من الإبانة ، وعند الريبيين من فلاسفة اليونان : التوقف عن كل حكم أو زعم ، وعند المحدثين من علماء النفس : فقد القدرة على الكلام جزئياً أو كلياً . ومعنى هذا اللفظ في اللغة الانكليزية فَقْدُ القدرة على الكلام أو فقد القدرة على الكتابة ، أو تعذر فهم الألفاظ ، أو تعذر قراءتها أو استعمالها . أما في اللغة العربية فيدل على تعذر الكلام لا غير .

ومن عادة علماء النفس أن يقسموا الحبسة قسمين : الحبسة الحركية (Aphasie motrice)، والحبسة الحسية (Aphasie sensorielle)، وهم يسمون فقدان القدرة على فهم الكلام بالصمم النطقي أو اللفظي (Surdité verbale)، وتعذر القراءة بالعمى النطقي أو اللفظي (Cécité verbale). ومن أنواع الحبسة أيضاً حبسة اللحن (Aphasie d'intonation)، وهي فقد غنة الكلام، والحبسة البصرية (Aphasie optique)، وهي فقد القدرة على تسمية الأشياء المرئية بأسمائها، والحبسة اللمسية (Aphasie tactile)، وهي فقد القدرة على تسمية الأشياء الملموسة بأسمائها.

الحتمية

في الفرنسية Déterminisme

في الانكليزية Determinism

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حتم بكذا حتماً قضى وحكم، وحتم الله الأمر قضاه، وحتم الأمر أحكمه، وحتم عليه الأمر أوجبه. فالحتم القضاء، أو ايجاب القضاء (ابن سيده) أو اللازم الواجب الذي لا بدّ من فعله، وفي التنزيل الحكيم : كان على ربك حتماً مقضياً. والحتمي هو المنسوب إلى الحتم ومنه الحتمية (Déterminisme)، وهي اصطلاح فلسفي حديث يدل على المعاني الآتية :

١ – الحتمية بالمعنى المشخّص هي القول ان كل ظاهرة من ظواهر الطبيعة مقيدة بشروط توجب حدوثها اضطراراً، أو هي مجموع الشروط الضرورية لحدوث ظاهرة معينة، أو هي القول بوجود علاقات ضرورية ثابتة في الطبيعة توجب أن تكون كل ظاهرة من ظواهرها مشروطة بما يتقدمها أو يصحبها من الظواهر الأخرى. ومعنى ذلك أن القول بالحتمية ضروري

لتعميم نتائج الاستقراء العلمي ، فلولا اعتقادنا ان ظواهر الطبيعة تجري على نظام كلي دائم لما استطعنا أن نعمم نتائج الاستقراء ولا أن نحكم على البعيد بما نحكم به على القريب ، حتى لقد قال (كلود برنارد) في المدخل إلى الطب التجريبي : ان مبدأ الحتمية ضروري لعلوم الأحياء كما هو ضروري لعلوم الفيزياء والكيمياء ، وقال أيضاً : إذا عرف الطبيب المجرب حتمية المرض (أعني أسبابه القريبة) استطاع أن يؤثر فيه تأثيراً متتابعاً .

٢ — والحتمية بالمعنى المجرد هي أن يكون للحوادث نظام معقول تترتب فيه العناصر على صورة يكون كل منها متعلقاً بغيره ، حتى إذا عرف ارتباط كل عنصر بغيره من العناصر أمكن التنبؤ به أو احداثه أو رفعه (لالاند) قال (كلود برنارد) : ان النقد التجريبي يضع كل شيء موضع الشك ، إلا الحتمية العلمية ، فإنه لا مجال للشك فيها أبداً . وقال (بنتلفه) : إذا تحققت الشروط نفسها في زمانين أو مكانين مختلفين حدثت الظواهر نفسها مجدداً في زمان ومكان جديدين . ومعنى ذلك ان الحتمية الطبيعية لا تختلف عن الحتمية الهندسية أو الحتمية الميكانيكية لأن هذين العلمين (أعني الهندسة والميكانيكا) يجردان المكان والزمان من اللواحق الحسية والتغيرات الجزئية ، ويرتقيان إلى أحكام كلية وقضايا عقلية عامة . وإذا كان العلم الطبيعي ينحو منحى الرياضيات في هذا التجريد العقلي فرد ذلك إلى أن المعقولية الرياضية والمعقولية الفيزيائية شيء واحد .

٣ — والحتمية بالمعنى الفلسفي مذهب من يرى ان جميع حوادث العالم ، وبخاصة أفعال الإنسان ، مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً محكماً . فإذا كانت الأشياء على حالة ما في لحظة معينة من الزمان لم يكن لها في اللحظات السابقة أو اللاحقة إلا حالة واحدة تلائم حالتها في تلك اللحظة المعينة . وأصحاب هذا المذهب يرون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان لهذا العالم نظاماً كلياً دائماً لا يشذ عنه في الزمان والمكان شيء ، وان كل شيء فيه ضروري ، وانه من المحال أن يكون إطراد الأشياء ناشئاً عن المصادفة والاتفاق ، بل الطبيعة في نظرهم مبرأة من كل إمكان خاص وجواز عام ، ليس فيها ابتداء مطلق ، ولا علة أولى ، ولا طفرة ، ولا معجزة .

٤ — والفرق بين الحتمية والجبرية أن ضرورة حدوث الأشياء عند الجبريين ضرورة متعالية متعلقة بمبدأ أعلى منها يسيِّرها كما يشاء ، وهو قضاء الله وأمره ، على حين أن هذه الضرورة في نظر الحتميين كائنة في الأشياء ، سارية فيها ، وهي الطبيعة بعينها .

٥ — وإذا كان بعض الفلاسفة الحتميين يثبتون الحرية الإنسانية ، فمرد ذلك إلى محاولتهم التوفيق بين حتمية الحوادث النفسية وتلقائية الموجود العاقل ، ولكن اطلاق اسم الحرية على هذا النوع من التلقائية أو الطوعية لا يخلو من الالتباس ، ذلك لأن الحرية تقال في نظرنا على وجهين : أحدهما سلبي ، والآخر ايجابي ، فإذا دلت على المعنى السلبي ، أعني اللاتقيد واللاتعين واللاضرورة ، كانت انكاراً لحتمية ، وكذلك إذا دلت على المعنى الإيجابي ، أعني قدرة الإنسان على خلق أفعاله بنفسه . وإذا كان بعض العلماء المعاصرين يحملون على الحتمية المطلقة حملة شعواء ، ويزعمون أن قوانين العلم نسبية أو اصطلاحية ، فمرد ذلك إلى اعتقادهم ان في الطبيعة مجموعات من القوى تستطيع أن تولد بامتزاجها حركات متساوية الامكان لا ترجيح لاحداها على الأخرى ، ويسمون هذه المجموعات مراكز عدم التعين . وإذا صح مذهب اللاحتمية الذي تفضي اليه نظرية المكانيكا الموجية ونظرية (الكوانتا) الجديدة أمكن القول بالحرية .

الحدّ

في اللاتينية	Definitio
في الفرنسية	Définition
في الانكليزية	Definition

الحد في اللغة المنع والفصل بين الشيئين ، ومنتهى كل شيء حده (Limite) . والحد أيضاً تأديب المذنب وجمعه حدود ، ومنه أقمت عليه الحد ، وحدود الله تعالى الأشياء التي بين تحريمها وتحليلها .

والحد أيضاً النهاية التي ينتهي اليها تمام المعنى ، وما يوصل اليه التصور المطلوب . وحدّ الشيء الوصف المحيط بمعناه المميز له من غيره .

والحد في اصطلاح الفلاسفة هو القول الدال على ماهية الشيء ، وهو تعريف كامل أو تحليل تام لمفهوم اللفظ المراد تعريفه ، كتعريف الإنسان بالحيوان الناطق . أما الرسم أو الوصف (Description) فهو تعريف الشيء بصفاته العرضية اللازمة المميزة له من غيره ، كتعريف الإنسان بالضاحك الخ . .

وينقسم الحد إلى تام وناقص . فالتام هو ما يتركب من الجنس والفصل القريبين ، كتعريف الإنسان بالحيوان الناطق . والناقص هو ما يكون بالفصل القريب وحده ، أو به وبالجنس البعيد ، كتعريف الإنسان بالجسم الناطق . ومن شرط الحد التام أن يكون جامعاً مانعاً ، أي يجمع المحدود ويمنع غيره من الدخول فيه ، ومن شرطه أيضاً أن يكون مطرداً ومنعكساً . ومعنى الاطراد انه متى وجد الحد وجد المحدود ، ومعنى الانعكاس انه إذا عدم الحد عدم المحدود . ولو لم يكن مطرداً لما كان مانعاً ، ولو لم يكن منعكساً لما كان جامعاً . وعلامة

استقامته دخول كلمة كل في الطرفين جميعاً، كما يقال في تحديد الإنسان: كل انسان فهو حيوان ناطق، وكل حيوان ناطق فهو انسان .

وينقسم الحد بنوع آخر من القسمة إلى حد بحسب الاسم، ويسمى بالحد اللفظي أو الاسمي (Définition nominale)، وإلى حد بحسب الذات، ويسمى بالحد الحقيقي (Définition réelle) أو الحد الذاتي (Définition essentielle).

والحد الذي بحسب الاسم هو القول المفصل الدال على مفهوم الاسم عند مستعمله . قال ابن سينا: «كل من تلفظ بلفظ فاليه تحديده إذا أجاد العبارة لما يقصد اليه من المعنى، ولا مناقشة معه البتة إلا إذا كان قد زاغ عما قصده بشيء مما يسوقه ... مثال ذلك ان الإنسان، إذا استعمله متكلم في كلامه، فسألته ما يعني به، فقال: انه الحيوان المنتصب القامة، البادي البشرة الذي له رجلان، فأول ما له انه قد حد الإنسان بحسب استعماله لفظه، وليس لك أن تخاطبه فيه بوجه من الوجوه بالمناقشة، إذ كان الحيوان بهذه الصفة موجوداً، و كان له بهذه الصفة اعتبار، وكان اعتباره بهذه الصفة غير محرم عليه أن يكون له اسم . وأكثر ما يكون أن تؤاخذه به أصل اللغة، وهو بعيد عن المآخذ العلمية» (منطق المشرقيين ص ٣٤) .

أما الحد الذي بحسب الذات فهو القول المفصّل الدال على حقيقة الشيء . والغرض منه أن يقوم في النفس صورة معتدلة مساوية للصورة الموجودة بتمامها . ولذلك، فلا حد بحسب الذات لما لا وجود له . انما ذلك قول يشرح الاسم، ومن شرط الحد الذي بحسب الذات أن يكون تاماً وان يكون موجزاً، وأن يحترز فيه عن الألفاظ الوحشية الغريبة، والمجازية البعيدة، والمشتركة، والمترددة .

وفرقوا بين الحد العملي (Définition Pratique) والحد العلمي (Définition scientifique) فقالوا: الحد العملي قول مركب من الصفات العرضية أو الذاتية التي تبين المراد من الشيء، مثل تعريف الأشياء المألوفة بصفاتها

الظاهرة على طريقة المعاجم . والحد العلمي هو التعريف الكامل . وهو مؤلف من الصفات الذاتية المقومة للشيء ، أعني جنسه وفصله ، مثل الحدود التي نجدها في العلوم الطبيعية : الإنسان حيوان ناطق ، والحيوان ذو إحساس ، الخ .

وفرقوا ايضاً بين الحد التجريبي (Définition empirique ou expérimentale) والحد الهندسي أو الرياضي (Définition géométrique ou mathématique) فقالوا : الحد التجريبي يتألف من العناصر التي يقتبسها الذهن من ملاحظة الأشياء الخارجية ، ولا يمكن أن يكون تاماً إلا إذا دلّ على ماهية الشيء وصفاته الذاتية . وليس كل حد تجريبي متصفاً بهذه الصفة ، بل العقل لا يصل إلى ذلك إلا بالتدرج والتقدم إلى المطلوب العلمي شيئاً فشيئاً . أما الحد الهندسي أو الرياضي فهو حد تام دال على حقيقة المعنى المتصور في الذهن ، وهو ابداع عقلي ، ليس من شرطه أن يكون له في الوجود الخارجي مثال ، وان كان وجوده في حيز الإمكان ، بخلاف الحد التجريبي الذي يدل على شيء موجود في الأعيان . لذلك يؤتى بالحدود الرياضية في أوائل الرياضيات ، ولا يهتدى إلى الحدود التجريبية إلا في أواخر العلم الطبيعي . وقد أطلق (هاملتون) اسم الحد بحسب التكوين (Définition génétique) على الحدود التي يوصف فيها الفعل المولد للشيء المراد تعريفه .

والحد (Terme) في اصطلاح المنطقيين هو ما تنحل اليه القضية ، كالموضوع والمحمول ، فهما الحدان اللذان تتألف منهما القضية من جهة ما هي قضية . والحدود بهذا المعنى اما أن تكون مشخصة أو مجردة ، أو عامة أو خاصة ، أو مفردة أو جمعية أو موجبة أو سالبة . وفي كل قياس ثلاث قضايا ، أي مقدمتان ونتيجة . والمقدمتان تشتركان في حد وتفترقان في حدين ، فتكون الحدود ثلاثة . ومن شأن المشترك فيه أن يزول عن النتيجة ويربط ما بين الحدين الآخرين ، مثل قولنا في القياس

الذي من الشكل الأول : كل انسان فان ، وسقراط انسان ، فسقراط فان . فالحدود الثلاثة هي فان وسقراط وانسان . والحدان اللذان كنا نجهل ارتباطها هما الفاني وسقراط ، والحد المشترك الذي كشف لنا عن الارتباط بينهما هو الإنسان ، وهو متكرر في المقدمتين . أما الفاني وسقراط فلم يتكررا ، إلا انهما يجتمعان في النتيجة . فالمتكرر يسمى الحد الاوسط (Moyen terme) ، وهو علة ارتباط الطرفين ، والحد الذي تريد أن يصير موضوع النتيجة يسمى الحد الأصغر (Petit terme) ، والذي تريد أن يصير محمول النتيجة يسمى الحد الأكبر (Grand terme) . والمقدمة التي فيها الحد الأكبر تسمى الكبرى (Prémisse majeure) ، والتي فيها الحد الأصغر تسمى بالصغرى (Prémisse mineure) .

والحد الأقصى (Maximum) هو النهاية العظمى لتغيرات قيم التابع ، فإذا كان هذا الحد هو النهاية القصوى لتمام التغير سمي بالحد الأقصى المطلق (Maximum absolu) . وإذا كان أكبر من الحـد المتقدم عليه فقط سمي بالحد الأقصى النسبي (Maximum relatif) . وعكس الحد الأقصى الحد الأدنى (Minimum) ، فالمطلق منه ما دل على القيمة الصغرى لمقدار ذي تغيرات متتابعة ، والنسبي منه ما كانت قيمة تغيره في زمان ما أصغر من قيم التغيرات السابقة أو اللاحقة .

الحـدة

في الفرنسية Acuité

في الانكليزية Acuteness

حدّ السيف حدة صار حاداً وقاطعاً ، وحدت الرائحة زكت واشتدت ، وحدّ على غيره غضب ، والحدة ما يعتري الإنسان من النزق والغضب ، تقول

أخذته حدة الغضب ، وهو معروف بحدة التفكير أي بعمقه . ومنه حدة الحواس (Acuité des sens) ، أي قوتها ، قال تعالى : فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد .

والمقصود من حدة الحواس أمران : الأول قدرتها على ادراك المؤثرات والمنبهات الخفيفة ، والثاني قدرتها على التمييز بين احساسين متقاربين . مثال ذلك حدة السمع . وحدة اللمس ، وحدة البصر . الخ .

الحدس

في اللاتينية	Intuitio
في الفرنسية	Intuition
في الانكليزية	Intuition

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحدس في اللغة الظن والتخمين ، والتوهم في معاني الكلام والأمور ، والنظر الخفي ، والضرب والذهاب في الأرض على غير هداية ، والرمي ، والسرعة في السير ، والمضي على استقامة أو على غير طريقة مستمرة .

والحدس الذي اصطلح عليه الفلاسفة مأخوذ من معنى السرعة في السير . قال ابن سينا : « الحدس حركة إلى إصابة الحد الأوسط إذا وضع المطلوب ، أو اصابة الحد الأكبر إذا اصيب الأوسط ، وبالجملة سرعة الانتقال من معلوم إلى مجهول » (النجاة ص ١٣٧) . وقال الجرجاني في التعريفات : « الحدس هو سرعة انتقال الذهن من المبادىء إلى المطالب » ، وقال التهانوي : « الحدس هو تمثل المبادىء المرتبة في النفس دفعة من غير قصد واختيار سواء بعد طلب أو لا فيحصل المطلوب »

والمقصود من الحركة وسرعة الانتقال تمثل المعنى في النفس دفعة واحدة في وقت واحد كأنه وحي مفاجيء أو وميض برق .

والحدس عند بعض الاشراقيين هو ارتقاء النفس الانسانية إلى المبادىء العالية حتى تصبح مرآة مجلوة تحاذي شطر الحق فتمتليء من النور الإلهي الذي يغشاها من دون أن تخل فيه انحلالاً تاماً . ويسمى هذا الامتلاء من النور الإلهي كشفاً روحياً أو إلهاماً .

وللحدس في الفلسفة الحديثة عدة معان :

١ — الحدس عند (ديكارت) هو الاطلاع العقلي المباشر على الحقائق البديهية . قال (ديكارت) : « أنا لا أقصد بالحدس شهادة الحواس المتغيرة ، ولا الحكم الخداع لخيال فاسد المباني ، انما أقصد به التصور الذي يقوم في ذهن خالص منتبه ، بدرجة من السهولة والتميز لا يبقى معها مجال للريب ، أي التصور الذهني الذي يصدر عن نور العقل وحده » (القواعد لهداية العقل ، القاعدة ٣) . ومعنى ذلك ان الحدس عنده عمل عقلي يدرك به الذهن حقيقة من الحقائق يفهمها بتمامها في زمان واحد لا على التعاقب . والأمور التي يدركها العقل بالحدس ثلاثة أنواع ، وهي : (١) الطبائع البسيطة ، كالامتداد والحركة والشكل والزمان . (٢) الحقائق الأولية التي لا تقبل الشك ، كقولي أني موجود لأني أفكر . (٣) المبادىء العقلية التي تربط الحقائق بعضها ببعض ، كقولي ان الشيئين المساويين لشيء ثالث متساويان . لذلك سمي (ديكارت) هذا الحدس نوراً طبيعياً (Lumière naturelle) أو غريزة عقلية . ومعنى الحدس عند (ليبنيز) مبني على هذا الأصل الديكارتي ، والدليل على ذلك قوله : الحقائق الأولى التي نعرفها بالحدس نوعان : حقائق العقل وحقائق الواقع .

٢ — الحدس هو الاطلاع المباشر على معنى حاضر بالذهن من حيث هو ذو حقيقة جزئية مفردة ، وهذا المعنى الذي نجده عند (كَنْت) في كتاب العقل المحض ، وعند هاملتون ودبوي ، يوجب أن تكون الحقيقة الجزئية المفردة مثالية ، كما في الحدس العقلي الذي يجمع بين تصور الشيء ووجوده ، أو مستفادة من الحساسية بصورة قبلية ، كادراك الزمان والمكان ، أو بعدية ، كما في الحدس التجريبي .

٣ — الحدس هو المعرفة الحاصلة في الذهن دفعة واحدة من غير ركاز أو استدلالات عقلية ، وهذا المعنى الذي أخذ به (شوبنهاور) لا يصدق على تمثل الأشياء وعلاقاتها فحسب ، بل يصدق أيضاً على تمثل خواص الأعداد والأشكال الهندسية من جهة ما هي مدركة ادراكاً مباشراً . وأكمل صور الحدس التأملي عنده الحدس الجمالي ، الذي ينسى فيه الإنسان نفسه في لحظة معينة من الزمان ، فلا يدرك إلا حقيقة الشيء الذي يتأمله .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤ — والحدس عند (هنري برغسون) عرفان من نوع خاص ، شبيه بعرفان الغريزة ، ينقلنا إلى داخل الشيء ، ويطلعنا على ما فيه من طبيعة مفردة لا يمكن التعبير عنها بالألفاظ ، بخلاف المعرفة الاستدلالية أو التحليلية التي لا تطلعنا إلا على ظاهر الشيء . قال (برغسون) : الحدس هو التعاطف العقلي الذي ينقلنا إلى باطن الشيء ، ويجعلنا نتحد بصفاته المفردة التي لا يمكن التعبير عنها بالألفاظ .

٥ — والحدس هو الحكم السريع المؤكد أو التنبؤ الغريزي بالحوادث والعلاقات المجردة . قال (هنري بوانكاره) : ان هذا الحدس ، أو هذا الشعور بالنظام الرياضي ، يكشف لنا عن العلاقات الخفية .

٦ — والحدسية (Intuitionnisme) مذهب من يرى أن المعرفة تقوم على الحدس .

٧ — ونحن نطلق الحدس على اطلاع النفس المباشر على ما يمثله لها الحس الظاهر أو الحس الباطن من صور حسية أو نفسية ، أو على كشف الذهن عن بعض الحقائق بوحي مفاجيء لا على سبيل القياس ، ولا على سبيل الاستقراء أو الاستنتاج ، ولكن على سبيل المشاهدة التي ينبلج فيها الحق انبلاجاً . وله أربعة أنواع : الحدس التجريبي ، والحدس العقلي ، والحدس الكشفي ، والحدس الفلسفي أو الصوفي . أعني حدس الاشراقيين الذين يزعمون أنهم يرتقون من مشاهدة الصور والأمثال إلى ادراك الحقائق المطلقة .

جميل صليبا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الإمام

رضي الدين الحسن بن محمد الصاغاني

(٥٧٧ ـ ٦٥٠هـ)

أقدم في بضع صفحات ترجمة أحد النوابغ الذين خلفوا لنا ثروة كبيرة من التآليف الخالدة في اللغة والنحو والأدب، بل ما قرع اسمه آذان كثير من الناس، وكان مستوراً في دفات كتبه؛ لأن كتبه التي اعتمد عليها كبار اللغويين مثل الفيروزآبادي صاحب القاموس، ومرتضى الزبيدي صاحب تاج العروس، ما طبعت إلى الآن.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هو الإمام رضي الدين أبو الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر بن علي ابن اسماعيل العمري القرشي الصاغاني اللاهوري. شهر الصاغاني لأن آباءه أتوا من صغانيان (معرّب جغانيان) وهي ولاية عظيمة فيما وراء النهر، متصلة الأعمال بترمذ. ولقد كانت قصبتها أيضاً على هذه الاسم، والنسبة إليها الصغاني والصاغاني أيضاً. والمشاهير منهم أبو بكر محمد بن اسحق الصاغاني الفقيه، وأحمد الصاغاني الذي كان يعمل في مرصد الكواكب لشرف الدولة، الملك البويهي. والإمام الحسن بن محمد الصاغاني وغيرهم.

وكان مولده بلاهور، مدينة كبيرة من بلاد الهند سابقاً، وعاصمة باكستان الغربية حالاً، في أيام خسرو ملك الغزنوي، وبها ولد سنة ٥٧٧ هـ في يوم الخميس عاشر صفر.

بعد مولده ترك أبوه لاهور وأقام بغزنة ، قصبة زابلستان ، فنشأ هناك وأخذ عن والده في القرآن والفقه . وارتحل من غزنة إلى بغداد في طلب العلم سنة ٥٩٥ وسنه حينئذ تسع عشرة سنة ، فروى عن كبار العلماء كالنظام محمد بن الحسن المرغيناني وسعيد بن الرزّاز وغيرهما حتى انتهت اليه الرياسة في اللغة وفن الأدب مع مشاركة بعلم الحديث والتفسير والفقه . وكان يقول لأصحابه : إحفظوا غريب أبي عبيد القاسم بن سلام ، فمن حفظه ملك الف دينار فإني حفظته فملكتها .

ودخل جزيرة العرب وحجّ فأقام بمكة مجاوراً مدّة وتسمى بالنجمي إلى حرم الله تعالى . وسمع هناك من أبي الفتوح نصر بن أبي الفرج الحصريّ .

ودخل اليمن سنة ٦١٠ هـ وقرأ هناك معالم السنن للخطّابي . وكان يعجب بهذا الكتاب ومصنفه . وكان يقول : إن الخطابي جمع لهذا الكتاب كل علمه . وكان وقوفه في عدن بمسجد ابن البصري ، أحد تجار عدن ، فسمع منه عدد من الفضلاء وانتفعوا به . وكتب بيده عدة نسخ من صحيح البخاري وأوقفها ، وصحب سليمان ابن الفقيه بطّال وأقام معه في عدن فأخذ عنه ، وقد قدم تعز لمدة قصيرة فأخذ عنه بها الشيخ منصور بن الحسن والفقيه أحمد بن علي السردودي وغيرهما .

وعاد الصاغاني إلى مكة سنة ٦١٣ هـ فمكث هناك عامين أو أكثر . ثم دخل بغداد ثانياً سنة ٦١٥ هـ . وزعم بعض العلماء أنه في هذه السنة قدم الصاغانيّ بغداد أولاً . وقرأ الناس عليه فذاع صيته وعلت شهرته ، فألحقه القاضي محمود ابن أحمد الزنجاني بالمعدّلين .

قال ابن الفوطي البغدادي . فلم يحضر مجلس قاضٍ ولا شهد ، بل كان يرسل مشورته حينما تطلب .

ثم أوفده الخليفة الناصر رسولاً إلى السلطان التتمش ، ملك الهند سنة ٦١٧ هـ ، فأقام بها مدة طويلة وسمع من علمائها كسعد الدين حسناباذي وغيره .

وقدم مكة لأداء النسك ثانياً، ودخل اليمن، ثم عاد إلى بغداد سنة ٦٢٤ هـ في خلافة المستنصر بالله، فأعيد إلى الهند رسولاً في تلك السنة، وعاد منها خلال سنة ٦٣٧ هـ. فرُتّب شيخاً برباط المرزبانية، ثم نظر في شرط الشيخ فوجد فيه أن يكون الشيخ شافعياً، فعزل نفسه لكونه حنفياً، وذلك في سنة ٦٤٣هـ.

ثم رُتّب مدرّساً بالمدرسة التتشيّة، نسبةً إلى خمارتكين التتشيّ، وخُلع عليه وحضر المدرسة وخطب خطبة فصيحة وذكر عشرة دروس وأنشد عند فراغها:

فهاكم يا سادتي ... مني دروساً عشره
فأنتم معادن الفضـ ... ـل الكرام البرَرَه
ولست حبراً عالماً ... لكنها محبره
فاعتذروا أخاكم ... فمثلكم من عذره

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقرأ عليه كثير من العلماء منهم الحافظ شرف الدين الدمياطي، وعز الدين ابن الوزير العلقمي، فحظي عند الوزير العلقمي، وبرسمه صنّف كتاب العباب الزاخر وكتاب مجمع البحرين وكتاب يفعول.

حكى ابن طباطبا العلوي: حدثني ولد الوزير أبو القاسم علي قال: اشتملت خزانة والدي على عشرة آلاف مجلد من نفائس الكتب. وصنّف الناس له الكتب. فممن صنف له الصاغاني اللغوي، صنف له العباب وهو كتاب عظيم كبير في لغة العرب.

وتوفي فجأةً ليلة الجمعة تاسع عشر شعبان سنة ٦٥٠ في بغداد. ودفن بداره في الحريم الظاهري، وكان قد أوصى بذلك، بأن يُحمل إلى مكة ويدفن بجوار الفضل بن عياض، ففعل أولاده ذلك وتولى تجهيزه ودفنه أصحاب الوزير، ورثاه عز الدين ابن الوزير بأبيات أولها:

تخاطبنا الدنيا خطاب مناصح وأسماعنا عما تقول صوادف
تخوفنا والأمن حشو قلوبنا كأن سوانا من عنته المخاوف
وترشدنا أحداثها فترى الهدى عيانا ولكنا غروراً نخالف
ونرجو من الأيام عدلاً لجهلنا وبقفي بجود صرفها المترادف
هوت بالصّغاني الذي لج قدره علواً من الأقدار دهماء قاذف
ليبك عليه العلم إن عاش بعده وتندب إن تبق النهى والمعارف

قال الحافظ الدمياطيّ : كان شيخاً صالحاً صدوقاً مصوناً عن فضول الكلام ، وإماماً في اللغة والفقه والحديث .

وقال ابن الفوطيّ : كان الشيخ أبو الفضائل الحسن بن محمد الصاغاني شيخ وقته ومقدم أهل زمانه في علم اللغة وفن الأدب و كان زاهداً عابداً كثير الصمت .

وقال السيوطي : قد كان الصاغاني حامل لواء اللغة في زمانه .

وقال ابن أبي مخرمة : كان الصاغاني إماماً كبيراً عالماً عاملاً بارعاً فاضلاً متفنناً كاملاً عارفاً بالنحو واللغة والتفسير والحديث والفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة .

تصانيف الصاغاني :

أما تصانيفه فهي كثيرة وأهم ما بلغ إلينا منها هي :

١ — العباب الزاخر ودر اللباب الفاخر ، وهو معجم كبير في ٣٠ جزءاً جمعه من أشهر معاجم اللغة ، مرتب حسب أواخر الكلم على طريقة الصحاح ولسان العرب ، ألفه للوزير ابن العلقمي ، وألحق به تراجم كبار اللغويين . قال السيوطي : وأعظم كتاب ألف في اللغة بعد عصر الصحاح كتاب المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ، ثم كتاب العباب للرضي الصاغاني ، فانتهى منه إلى فصل الباء من باب الميم ، و كتب بخطه بكم ، ولم يتم حتى قال القائل :

ان الصَّغاني الذي حاز العلوم والحكم
كان قصارى أمره أن انتهى إلى بكم

قال الفيروز آبادي في خطبة القاموس : ولما أعياني الطلاب شرعت في كتابي الموسوم باللامع المعلوم العجاب ، الجامع بين المحكم والعباب ، فهما غُرّتا الكتب المصنَّفة في هذا الباب ، ونيرا براقع الفضل والآداب .

والموجود منه أربعة أجزاء في مكتبتي أيا صوفيا و كوبرلي بالآستانة ، وجزء في دار الكتب المصرية .

٢ — التكملة والذيل والصلة : ألف الصاغاني التكملة على الصحاح ، في ستة أجزاء مرتبة على حسب ترتيب الصحاح ، وقد ذكر فيها ما فات الجوهري ، وهي أكبر حجماً من الصحاح . والموجود منها نسخة في دار الكتب المصرية ، ونسخة في المكتبة السليمانية في اسطنبول ، ونسخة عتيقة في تونس ، ونسخة من الجزء الأول في المتحف البريطاني .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣ — مجمع البحرين : في اللغة في ١٢ مجلداً ، جمع بين كتاب الصحاح وكتابه التكملة ، فرد ما ذكره أولاً على ما سرده وعلامته ص ، وأردف ما ذكره في التكملة وعلامته ت ، ثم أردفها حاشية التكملة وعلامتها ح .

منه نسخة في دار الكتب المصرية في مجلدين ، وفي مكتبة كوبرلي بالآستانة ، وفي الخزانة الخصوصية بتونس ، وفي المكتبة الأهليـة بباريس وفي جامعة بيتسبرگ ، وفي معهد الدراسة الشرقية في درهام .

٤ — مشارق الأنوار في الحديث : وهو من أحسن كتبه في الحديث ، وقد كتب عليه كثير من العلماء شروحا . وطبع مراراً في الهند ومنه نسخة في المكتبة الأهلية بباريس ، وفي المتحف البريطاني .

٥ — مصباح الدجى في الحديث .

٦ — الشمس المنيرة في الحديث .

٧ — الدر الملتقط في تبيين الغلط ، ذكر فيه ما في كتابي الشهاب للقضاعي والنجم للأقليشي من علم دراية الحديث .

٨ — مناسك الصغاني .

٩ — نقعة الصديان فيما جاء على وزن فعلان . منه نسخة في دار الكتب المصرية وفي مكتبة داماد زاده بإسطنبول .

١٠ — الأحاديث الموضوعة ، منه نسخة في الخزانة التيمورية ، وطبع بالمطبعة البارونية بالجدرية .

١١ — الشوارد في اللغة ، ومنه نسخة في مكتبة داماد زاده بإسطنبول .

١٢ — المختصر في العروض ، 〃 〃 〃 〃

١٣ — تعزيز بيتي الحريري ، 〃 〃 〃 〃

١٤ — الانفعال في اللغة ، 〃 〃 〃 〃

١٥ — يفعول في اللغة ، 〃 〃 〃 〃 ونسخة في دار الكتب

وأخرجه العلامة حسن حسني عبد الوهاب في تونس سنة ١٩٣٥ م .

١٦ — الأضداد في اللغة ، منه نسخة في برلين وفي مكتبة داماد زاده .

وأخرجه الدكتور أوغست هفنر ، وطبع في بيروت سنة ١٩١٣ م .

١٧ — أسماء الغادة في اللغة ، منه نسخة في مكتبة داماد زاده وفي الخزانة التيمورية .

١٨ — أسماء الذئب في اللغة أيضاً ، وطبع بمطبعة أحمد كامل سنة ١٣٢٠ هـ .

١٩ — أسماء الأسد في اللغة ، منه نسخة في الخزانة التيمورية .

٢٠ — خلق الإنسان في اللغة ، منه نسخة في مكتبة داماد زاده .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢١ — نوادر اللغة ، ٢٢ — كتاب الأضداد ، ٢٣ — كتاب الافتعال في اللغة ، ٢٤ — التجريد وجمل الصاغاني ، ٢٥ — كتاب السالكين ، ٢٦ — در السحابة في بيان مواضع وفيات الصحابة ، ٢٧ — شرح قلادة السمطية في توشيح الدريدية ، ٢٨ — شرح أبيات المفصل ، ٢٩ — شرح البخاري ، ٣٠ — في الضعفاء والمتروكين في رواة الحديث ، ٣١ — فرائض الصاغاني ، ٣٢ — كتاب المفعول ، ٣٣ — كشف الحجاب عن أحاديث الشهاب .

﴿ المراجع ﴾

ياقوت الحموي	معجم الأدباء	ط	القاهرة	١٩٢٧ م
ابن الطباطبا العلوي المعروف بابن الطقطقي	الفخري	ط	القاهرة	١٩٥٦ م
ابن الفُوَطي	الحوادث الجامعة	ط	بغداد	١٣٥١ هـ
ابن أبي الوفا	الجواهر المضية	ط	حيدرآباد	١٣٣٢ هـ
ابن أبي مخرمة	تاريخ ثغر عدن	ط	ليدن	١٩٣٦ م
ابن قطلوبغا	تاج التراجم	ط	ليبزك	١٨٦٢ م
السيوطي	المزهر	ط	القاهرة	١٣٧٨ هـ
السيوطي	بغية الوعاة	ط	القاهرة	١٣٢٦ هـ
ابن العماد	شذرات الذهب	ط	القاهرة	١٣٥١ هـ
عبد الحي اللكنوي	الفوائد البهية	ط	القاهرة	١٣٢٤ هـ
بروكلمان	تاريخ الأدب العربي ج ١	ط	ليدن	١٩٤٣ م

حيدرآباد — باكستان الغربية

محمد علي نجم القادري

من تراثنا الضائع :

كتب الشاعر

دعبل بن علي الخزاعي

كان الشعر انتهى في عصر هذا الشاعر (القرن الثالث) إلى أن أصبح كالغناء حرفة يتهيأ لها الشاعر بالممارسة الحية والنظر الطويل في شعر الفحول (وقد أخذ يدون في هذا العصر ويوضع في أيديهم) ورواية أطراف كثيرة من شعرهم ، إلى جانب ما يأخذ من اللغة والأنساب والأخبار . ثم كان كل شاعر يتأثر بثقافات العصر الأخرى التي كانت تشتبك من حوله ، على قدر ما يهيئه ذوقه ونشأته وبيئته .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأصبح في مكنة الشعراء ، كما أصبح في مكنة المغنين ، أن يجاروا العلماء فيضعوا الكتب . وقد أشاع هذه البدعة أبو تمام فصنف كتب الاختيار الستة[1] . ثم وصل الأمر ببعض الشعراء أن وضعوا كتباً في التاريخ والطبيخ والعطر[2] . وقد بلغ دعبل من المعرفة بالشعر والشعراء أن عده الآمدي[3] ، مع

---

(١) انظر أسماءها ووصفها في : الموازنة ٤٨ — ٩ . ويقول الآمدي بعدها : « وهذه الاختيارات تدل على عنايته بالشعر ، وانه اشتغل به وجعله وكده ، واقتصر من كل العلوم والآداب عليه ، فإنه ما من شيء كبير من شعر جاهلي ولا إسلامي ولا محدث إلا قرأه واطلع عليه ... » .

(٢) الفهرست ١٧٦ و ٤٨٣ .

(٣) الموازنة ٢٠ .

ابن الأعرابي وأحمد بن يحيى الشيباني ، « من علماء الشعر وكلام العرب » ، ووصفه ابن شرف القيرواني [١] بأنه « عالم شعراء » . وتظهر بعض النقول والروايات التي وصلت الينا مدى ما وصل اليه دعبل من ذلك حتى روى عنه ابن قتيبة [٢] والمبرد [٣] ، وصححت بروايته الروايات [٤] ، ونقلت أقواله في نقد الشعر وتقويمه [٥] ، وذكر أنه روى شعر شاعر مثل أبي راسب البجلي [٦] . فليس غريباً إذن أن يكون كتب كتاباً في الشعر والشعراء نقل عنه من جاء بعده ، حتى استفاض ذكره في كتبهم وحفلت بالنقول عنه .

وذكر ابن النديم [٧] له كتاباً آخر سماه كتاب الواحدة ، وهو في مثالب العرب ومناقبها .

وأضيف اليه كتاب ثالث في أخبار ملوك اليمن ووصاياهم إلى أبنائهم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) رسائل الانتقاد ٢٣ .

(٢) انظر مثلاً في الشعر والشعراء ١/٤٠٢ ــ ٣ .

(٣) انظر مثلاً في الكامل ٢/٥٢٦ .

(٤) انظر مثلاً في كتاب التنبيه على الأمالي للأوني ١١٨ ، وانظر أمثلة من الروايات التي نقلت عنه في : الأغاني ٣/١٩٤ واعجاز القرآن للباقلاني ١٧٦ والانباه للقفطي ٣/٢٣٨ والعمدة لابن رشيق ٢/١٣٩ــ٤٠ وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ١٣٢ وأمالي المرتضى ١/٣٧٢ .

(٥) انظر أمثلة في نقده البيتين اللذين نسبا إلى الرقاشي فيه (محاضرات الأدباء ٢/١٤٢) ونقده شعر شاعر أنشده (الأغاني ٢٠/٩٢) ونقده شعر القصافي (الورقة ٤٦ ومعجم الشعراء ٣٤) ونقده شعر ديك الجن (العمدة ١/٣٢٠) وشعر المهلهل بن ربيعة (الموشح ٧٤) . وانظر : المؤتلف والمختلف للآمدي ٦٧ والعمدة لابن رشيق ١/٩٤ .

(٦) الابانة عن سرقات المتنبي للعميدي (مخطوطة دار الكتب المصرية) الورقة ٣٣ .

(٧) الفهرست ٢٢٩ .

— ١ —

فأما الكتاب الأول فقد جرى فيه ، فيما يبدو لنا ، على صورة التصنيف التي نراها فيما وصل إلينا من كتب ألفت لهذا العصر في الشعر والشعراء ، بأسماء مختلفة ، وهي التعريف المختصر بالشاعر ، ونقل جملة من أخباره وشعره يرويها المصنف عمن سمعها منه .

وعلى الرغم من أن مصادر كثيرة سمت الكتاب (طبقات الشعراء)[1] ، وهي التسمية التي نعتقد أن دعبلاً سمى كتابه بها ، فان ذلك لا يعني أن دعبلاً قسم الشعراء فيه إلى طبقات ، فتحكم عليهم بطبقاتهم ، على نحو ما صنع محمد بن سلام الجمحي في كتابه المعروف بالاسم نفسه (طبقات الشعراء) . وإنما اختار لنفسه ، فيما يبدو ، طريقة أخرى في التصنيف ، وزع فيها الشعراء على مواطنهم ، فأفرد لشعراء كل موطن كتاباً مثل (كتاب شعراء بغداد) الذي ذكره له الآمدي[2] . و (كتاب شعراء البصرة) الذي ذكره التبريزي[3] والمرزباني[4] . ويبدو أنه

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز (اقبال) ١٥٢ ، الفهرست لابن النديم ٢٢٩ ، كتاب الرجال للنجاشي ١١٧ ، العمدة لابن رشيق ١/١١٣ ، معجم الأدباء لياقوت ١١/١١٢ ، المنتخب مما في خزائن الكتب بحلب ٣٤ .
وسماه المبرد : أخبار الشعراء (الكامل ١/١٨٤) ، وابن الجراح : كتاب الشعراء (الورقة ١٢٣) ، وذكره الآمدي بقوله : « كتاب دعبل الذي في الشعراء » (الموازنة ١٦) والخطيب البغدادي ، نقلاً عن المرزباني ، بقوله : « كتابه الذي في أسماء الشعراء » (تاريخ بغداد ٤/١٤٣) ونقل ذلك عنه ، فيما يبدو ، ابن خلكان (وفيات الأعيان ١/٦٣) .
وقد كانت الكتب التي تؤلف على الشعراء تسمى بمثل هذه الأسماء المختلفة على ألسنة المصنفين.

(٢) المؤتلف والمختلف ٦٧ .

(٣) شرح الحماسة : الحماسية رقم ٢٦٥ .

(٤) معجم الشعراء ٦٥ و ٢٦١ و ٢٩٥ .

أفرد الشعراء الحجاز كتاباً ، والشعراء خراسان كتاباً [١] . ولعله - إذا صح ما نقوله - أول من التفت إلى تأريخ حياة خراسان الأدبية . ولم يلتفت أحد اليها بعده الى اليوم !

وفي أيدينا دلائل تدل على أنه لم يقصر كتابه على الشعراء المحدثين ، بل تعداهم إلى الإسلاميين والجاهليين [٢] . فلا بد إذن أن يكون كتاباً ضخماً كان ذخيرة لمن كتب بعده في الشعر والشعراء [٣] .

ونستطيع أن نفهم ، من اشارات صغيرة وردت في بعض كتب النقد ، انه كانت للكتاب مقدمة حسنة عرض فيها دعبل لبعض قضايا نقدية عامة كان محمد بن سلاّم عرض لها ، مثل « مسألة تقارب البيتين الجيدين النادرين ومعرفة أهل العلم بصناعة الشعر أيهما أجود إن كان معناهما واحداً » ، فهذه مسألة عرض لها ابن سلام الجمحي في كتابه من قبل [٤] ويغلب على الظن أن يكون دعبل قرأه وأفاد منه قبل أن يكتب كتابه .

وعرض دعبل ، في المقدمة أيضاً ، لأغراض الشعر وأقسامه ، فأوصى أن يصدر الشاعر في كل منها عن أحوال مناسبة قائمة في النفس [٥] . وتكلم ، فيما

(١) المصدر السابق ٤٥ و ٤٦ و ٣٢٩ .
(٢) المصدر نفسه ٦٧ و ٢٣٩ .
(٣) تتبع أسماءهم في الفهرست لابن النديم ٧٦ ، ٩٣ ، ١١٦ ، ١٤٢ ، ١٥١ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٩ .
ويغلب على الظن أن يكون كتاب دعبل أول كتاب وضع في الشعر والشعراء بعد كتاب محمد بن سلاّم .
(٤) الموازنة للآمدي ٣٤٥ ، وانظر الطبقات لابن سلام ٧ - ٨ .
(٥) انظر قوله في العمدة لابن رشيق ١٢٢/١ .

يبدو ، على أمدح بيت قالته العرب وتنازع الناس عليه وعلى أفخر الشعر وأكذبه[١] .

وعرض لفضل الشعر وتصديق الناس للشاعر حتى « إنه لم يكذب أحد قط إلا اجتواه الناس فقالوا : كذاب . إلا الشاعر فإنه كلما زاد كذبه زاد المدح له . ثم لا يقنع له بذلك حتى يقال له : أحسنت والله ، فلا يشهد له شهادة زور إلا ومعها يمين بالله تعالى[٢] » . وذكر « أن الرجل الملك أو السوقة إذا صير ابنه في الكتّاب أمر معلمه أن يعلمه القرآن والشعر ... لأنه يوصل به المجالس وتضرب به الأمثال وتعرف به محاسن الأخلاق ومشاينها ... وأي شرف أبقى من شرف يبقى بالشعر ؟ » . وضرب على قوله مثلاً فقال : « إن امرأ القيس كان من أبناء الملوك ، وكان من أهل بيته وبني أبيه أكثر من ثلاثين ملكاً فبادوا وباد ذكرهم ، وبقي ذكره إلى القيامة . وانما أمسك ذكره شعره[٣] » .

وحذر بعد ذلك من التعرض للشاعر « ولو كان من أدون الناس صنعة في الشعر » إذ « ربّ بيت جرى على لسان مفحم فقيل فيه : رب رمية من غير رام ، فسارت به الركبان[٤] ... » .

وكانت هذه ، على ما يبدو ، من القضايا الدائرة آنذاك . وهي تصور ما وصلت اليه حال الشعر والشعراء من مهانة على يد المادحين حتى احتاج دعبل الى أن يقول في « فضله » مثل هذا الكلام الذي يدور بعضه على المنفعة !

ويغلب أن يكون ألقى في الكتاب أحكاماً نقدية على الشعراء تجد صوراً لها في كثير من كتب الأدب التي أفادت من كتابه ، على نحو ما أشرنا اليه منذ قليل .

(١) المصدر السابق ١٣٩/٢ و ١٤٤ .
(٢) الظرائف للمقدسي ٤١ ووفيات الأعيان لابن خلكان ٣٦/٣ .
(٣) الظرائف للمقدسي ٤١-٢ ، وانظر : مفتاح السعادة لطاشكبري زاده ٣٠٢/١ .
(٤) الموازنة ١٦ .

وقد أفاد منه من كتب بعده في اللغة والنقد والشعر والشعراء والرجال مثل المبرد في (الكامل)[١] ، وابن الجراح في (الورقة)[٢] ، وابن المعتز في (طبقات الشعراء)[٣] ، والمرزباني في (معجم الشعراء)[٤] ، والآمدي في (الموازنة) ، و (المؤتلف والمختلف)[٥] ، والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد)[٦] ، والمقدسي ، كما رأينا ، في (الظرائف واللطائف) ، وابن رشيق في (العمدة)[٧] وغيرهم[٨] . وكان أكثرهم افادة منه صاحب كتاب الورقة ، حتى لنظن أحياناً أنه لخص فيه معظم الأخبار من كتاب دعبل .

ويمكن ، على كل حال ، أن تكون صورة عن الكتاب من مجموعة النقول والإشارات الواردة في هذه الكتب وغيرها مما يرد فيه ذكر الكتاب .

والأرجح أن يكون دعبل كتب هذا الكتاب في أواخر حياته . فقد ذكر فيه شعراء عاصرهم ونقل بعض أخبارهم ، ويغلب أن يكونوا ماتوا قبل أن يكتب كتابه . ولعله كتب جزءاً منه ، إن لم يكن كتبه جميعاً ، في السنوات الست

---

(١) الكامل ١٤٧/١ و ١٨٤ .
(٢) تتبع أثره بالرجوع إلى معظم الصفحات التالية : ٣ ، ١٠ ، ١٧ ، ٢٤ ، ٣٣ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٧ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٠١ ، ١٢٣ .
(٣) مصورة اقبال ١٥٢ .
(٤) تتبع ذلك في الصفحات التالية : ٣٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٩ ، ١٠٩ ، ١١٨ ، ١٦٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٩ ، ٢٨٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٣٢٩ ، ٣٤٦ ، ٣٨٠ ، ٤٣٩ ، ٤٥٢ .
(٥) الموازنة ١٦ و ٣٤٥ ، والمؤتلف والمختلف ٦٧ ، ١٦٩ .
(٦) انظر ـ مثلاً ـ : تاريخ بغداد ٣٤٢/٢ و ١٤٣/٤ .
(٧) ارجع الى الصفحات التالية : ٩٤/١ و ١١٣ و ١٢٢ و١٣٩/٢ـ١٤٠ و ١٤٤و٣٠٧.
(٨) انظر أمثلة في : تاريخ دمشق لابن عساكر (التهذيب : ٤٦/٧ و ٤٧) ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٤٣/١ و ٥٤/٢ ، ومرآة الجنان لليافعي ١٢٣/٢ .

الأخيرة في حياته ، لأنه ذكر فيه أحمد بن أبي دواد الذي توفي سنة ٢٤٠هـ، ونقل شيئاً من شعره[١] .

وقد كانت نسخة من الكتاب في حلب في نهاية القرن السابع (سنة ٦٩٤ م) مع نسخة من ديوان دعبل ، لأنا وجدنا اسمه في الفهرس الطريف الذي سمي : المنتخب مما في خزائن الكتب بحلب . وقد سمي فيه (طبقات الشعراء) ، ووقع تحت رقم ٦٠١[٢] .

ثم فقدناه ، من بعد ، كما فقدنا الديوان .

– ٢ –

وأما الكتاب الثاني فسماه ابن النديم[٣] (كتاب الواحدة) ، وأضاف اليه النجاشي[٤] (في مناقب العرب ومثالبها) ، وأخذت ذلك عنه ، على ما يبدو ، المصادر المتأخرة[٥] . وربما صح أن يكون ما أضافه النجاشي من عنده ، للتعريف بالكتاب .

ويبدو أن هذا الكتاب لم يعمّر طويلا : فإنه لا يرد له ذكر بعد القرن الرابع إلى الخامس . ولعله انتهى بعدها إلى ما انتهت اليه كتب المثالب كلها ، بما تضمنته من طعن وتمزيق[٦] .

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٤٣/٤ (نقلاً عن المرزباني) ووفيات الأعيان ٦٣/١ .
(٢) المنتخب مما في خزائن الكتب بحلب ٣٤ .
(٣) الفهرست ٢٢٩ .
(٤) كتاب الرجال ١١٧ .
(٥) انظر مثلاً : منتهى المقال لأبي علي ١٣٢ وهدية العارفين للبغدادي ١ : ٣٦٣ .
(٦) انظر في ذلك ضحى الإسلام لأحمد أمين ٧٢/١ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ونعتقد أن دعبلاً أفاد في الكتاب مما حصل من معرفة واسعة بالأنساب وبمثالب العرب ومناقبها ، وهي معرفة كان لا بد منها لشاعر العصر بصورة عامة ، وللهجاء بصورة خاصة ، لما يحتاجه منها في الطعن على نسب المهجو وتجريحه والكشف عن مواطن الضعف فيه . ويمكن أن يصور لنا سعة هذه المعرفة ما بقي من قصيدته التي ناقض فيها مذهبة الكميت . ولعله (لقربه من الفرس ورجالها ، وخروجه اليهم) كان يسمع أقوالهم في العرب ونقائصها فيغنى بها فوق ذلك .

ويرجح أن يكون أفاد فيه أيضاً مما كتب أيامه من كتب في مثالب العرب ، كتبها الشعوبية ومن لف لفها وهتكت العرب فيها حيا حيا ، كما أفاد مما كتبه المناهضون للشعوبية في مناقبها[1] .

اننا لا نعرف شيئاً عن الكتاب اليوم . ولم ترد في المصادر كلمة في التعريف به تعيننا على تصور منهجه ومحتواه . على أنه يرجح (لما نعرف من عصبيته المفرطة لليمانية على العدنانية) أن يكون ذكر مثالب عدنان ومناقب قحطان . ولعله ذكر مثلبة للعدنانية في مقابل كل منقبة للقحطانية . ومن هنا ، إذا صح ما نتصوره ، تتضح تسمية الكتاب : بالواحدة .

ولعل هذا كان سبباً لما بدا في المصادر ، من بعد القرن الخامس ، من تجاهل للكتاب ، حتى ليكتفي بذكر ديوان دعبل وكتابه في طبقات الشعراء ، دون أن يذكر هذا الكتاب .

---

(١) تتبع أسماء كتب المثالب والمناقب في الفهرست لابن النديم ٧٩ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٥ ـ ٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ .
وانظر ضحى الإسلام لاحمد أمين ١/٧٠ ـ ٧٣ .

- ٣ -

ونسب إلى دعبل كتاب كتب في منتصف القرن السادس (سنة ٥٤٩ هـ). وهو « كتاب فيه وصايا الملوك وأبناء الملوك من ولد قحطان بن هود النبي ﷺ »[1]. ويقع في ثمان وثلاثين ورقة سرد فيها تاريخ ملوك اليمن على نحو ما تخيلته اليمانية ودونته في القرن الثالث. ونسب فيه إلى هؤلاء الملوك شعر كثير جاء أحياناً كثيرة على صورة الوصايا، وزعم أنهم خاطبوا به أولادهم أو خلفاءهم.

والكتاب صورة لا تكاد تختلف اطلاقاً عن الكتاب الذي نشر في بغداد منذ أكثر من ثلاث سنوات (سنة ١٩٥٩ م) باسم (تاريخ العرب قبل الإسلام) ونسب إلى الأصمعي. وقيل: إنه بخط ابن السكيت!

وكلا الكتابين صورة كاملة، فيما يبدو، للكتاب الذي نشر منه الجزء الأول في أربعين صفحة[2]، في بغداد، منذ زمن طويل (سنة ١٣٣٢ هـ) باسم (وصايا الملوك العرب في الجاهلية)، ونسب إلى يحيى بن الوشاء!

وهي كلها صور تختلف في بعض المواضع، للشرح الذي وضع على قصيدة نشوان بن سعيد الحميري التي نظم فيها تاريخ اليمن، ونشر في القاهرة سنة ١٣٧٨ هـ باسم (خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة).

ويخيل الينا أنها كلها ليست بعيدة عن أخبار عبيد بن شرية (ت حوالى ٦٧ هـ) وكتاب التيجان الذي روى عن وهب بن منبه (ت ١١٤ هـ) والإكليل للهمداني (ت ٣٣٤ هـ)، حتى ليمكن أن تعد هذه الكتب أصلاً لأخبارها، جمعت منها وزينت بشعر لا يبعد أن يكون اليمانية أشاعوه أو أشاعوا بعضه، منذ القديم، على ألسنة ملوكهم، ليصوروا حكمهم وسلطانهم الواسع.

(١) مكروفلم بمعهد إحياء المخطوطات العربية (١٣٠٦ تاريخ) مأخوذ عن النسخة المحفوظة في الأمبروزيانا (G 3).

(٢) ينتهي هذا الجزء عند الصفحة ٥٦ من كتاب (تاريخ العرب قبل الإسلام) المنسوب إلى الأصمعي.

ARCHIVE http://archive.sakhrit.com

ونعتقد أن ذلك ، على كل حال ، لم يتم قبل القرن الخامس أو الرابع على الاقل[1] ، ثم نسب إلى الأصمعي حيناً والوشاء حيناً ودعبل حيناً ، حتى جعل بعد ذلك بزمن في خلاصة السيرة الجامعة .

ونلاحظ ، فيما يتصل برواية الكتاب عن دعبل ، أو راويه المذكور في أوله هو (علي بن محمد الدعبل بن علي) . ولم يرد اسم دعبل معرفاً في غير هذا الكتاب . ولا يبعد أن يكون هذا من فعل أحد النساخ ، ضللته كلمة (الخزاعي) التي تتردد في هذه الأخبار ، على أن المقصود بها أبو سعيد الخزاعي .

وينبغي أن نذكر أخيراً أن الذين ذكروا دعبلاً في القديم والحديث ، وفيهم ابن النديم ، لم يذكروا له كتاباً ثالثاً غير الكتابين السابقين ، وأن الذين ترجموا للأصمعي والوشاء لم يذكروا لهما مثل هذا الكتاب أيضاً .

* * *

ونخلص مما قدمنا إلى أن دعبلاً كتب كتابين في الشعر وأخبار الشعراء ، وفي مناقب العرب ومثالبها ، صب فيهما ، على ما يبدو ، جماع ما حصل من معرفة بالشعراء وأخبارهم ، وبالأنساب وأحياء العرب ومثالبها ومناقبها . وتلك ، على التحقيق ، أبرز عناصر الثقافة العربية التي كانت شائعة في ذلك الحين ، وكان فرضاً على الشعراء أن يأخذوها ليفيدوا منها في شعرهم ويغنوا بها حسهم ويقفوا منها على أسرار الصناعة ، ليكون شعرهم على مثال يرضي أذواق الممدوحين من ناحية ، ويرضي ، من ناحية أخرى ، أذواق النقاد الذين كانوا في الغالب من علماء اللغة وكلام العرب .

الدكتور عبد الكريم الأشتر

---

(١) انظر تحقيقاً مفصلاً في الموضوع كتبه الأستاذ حمد الجاسر في جريدة اليمامة : العدد ٢٦٧ الصادر بتاريخ ١٣٨٠/١٠/٩ هـ ، والعدد ٢٦٩ الصادر بتاريخ ١٣٨٠/١٠/٢٣هـ ، بعنوان : الكتاب العربي المخطوط (١ ـ ٢) .

نظرات في

المعجم الوسيط

- ٥ -

خامساً : تعريف الحيوانات والطيور والأسماك والحشرات[١]

الكلمة	تعريفها في المعجم الوسيط	الملاحظات
الأَسَدُ	سبع مفترس ، يُضرب به المثل في القوة والجرأة .	ورد هذا التعريف في المعجمات القديمة ، ولا يليق الاكتفاء به في معجم حديث ، فالأسد : اسم يشمل الذكر والأنثى ، لحيوان من الفصيلة السِّنَّوْرية ورتبة اللواحم (آكلات اللحم) وطائفة الثدييات ، أي اللَّبُونات . وهو من الوحوش الضارية يعيش في إفريقية وجنوبي آسية ، ويعمر ثلاثين حتى أربعين سنة[٢] .

(١) كان حظ الحيوانات والطيور والأسماك والحشرات ، في المعجم الوسيط ، من التعريف العلمي ، دون حظ النباتات منه ، لأن أكثر ما أورده هذا المعجم من تعريفات لها ، كان منقولاً عن المعجمات القديمة ، على أن المعجم الوسيط ، لم يخل من تعريفات علمية دقيقة ، لبعض أنواع الحيوانات والطيور والحشرات ، كتعريف الذئب والزرافة والشُّحرور والخُضّار والحريش الخ ... وسنذكر أمثلة عن التعريفات المنقولة عن المعاجم القديمة ، والتي كان من الواجب أن ترد لها في المعجم الوسيط ، تعريفات علمية دقيقة ، كما نجدها في المعجمات الأجنبية .

(٢) تزيد بعض المعاجم الأجنبية تعريفاتها للحيوانات الكبيرة ، معلومات مفيدة تتصل بها ، فنذكر مثلاً في نهاية تعريف الأسد : صوته : زئير ، مأواه : عرين ، ولده : شبل ، أنثاه : لَبُؤة الخ...

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابن آوى	حيوان وَحشيّ شبيه بالذئب . (ج) بنات آوى ، وبنو آوى .	هذا التعريف مقتضب ، وابن آوى : حيوان مفترس ، من الفصيلة الكلبية ورتبة اللواحم وطائفة الثدييات ، يتغذى من الطيور الدواجن والثدييات الصغيرة ، كما يتغذى من الجيف .
البَبْر	نوع من السِّباع يشبه النمر . (مع) . (ج) بُبُور .	البَبْر حيوان مفترس ، من الفصيلة السِّنَّورية ورتبة اللواحم ، وهو كبير مخطط خلافاً للنمر فهو أرقط ، والبَبْر يتسلق الأشجار ويستطيع السباحة في الأنهر ، ولا يعيش إلا في الأدغال الاستوائية .
الثَّعْلَبُ	حيوانٌ من أكَلَة اللحوم ، ذو خَطم مستطيل ، وقد يستخدم في الصيد . ويضرب به المثلُ في الاحتيال . أنثاه « ثعلبة » . (ج) ثعالب .	الثعلب : جنس حيوانات مشهورة ، من الفصيلة الكلبية ورتبة اللواحم ، يعيش على الدجاج والأرانب والطيور الصغيرة ، يُصاد لجلده الذي يتخذ منه الفَرْوُ ، وله عدة أنواع . وفي تعريف المعجم جملة « وقد يستخدم في الصيد » وهي منقولة عن بعض المعجمات القديمة ، وأنا لا أعرف كيف يستخدم الثعلب في الصيد ، وبه يُضرب المثل في الاحتيال !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحِمَارُ	النَّهَّاقُ من ذوات الأربع أهليّاً كان أو وحشيّاً .	من التعريفات الغريبة في المعجمات القديمة ، تعريف الحمار بصوته ، والحمار : حيوان داجن من الفصيلة الخيلية ، يستخدم للحمل والركوب ، واسمه العلمي : Equus asinus ، واسم الجنس Equus يشمل الفرس والحمار والعتّابي ، أي حمار الزَّرَد ، والأخدري وفرأ التبت وفرأ الشام ، أي حمار الوحش ، وكل منها نوع [2] ، والأخير هو ما يضرب المثل في صيده .
الفَرَأُ	حمار الوحش ، يقال في مثلٍ : « كلّ الصَّيد في جوف الفَرَا » بتسهيل الهمزة : كلّه دونه (ج) فِرَاء وأَفْرَاء [1] .	
العَيْرُ	الحمار الوحشيُّ والأهليُّ . (ج) أعيار .	وتعريف العَيْر بأنه الحمار الوحشي والأهلي ، ورد في أكثر المعجمات القديمة ، قال صاحب اللسان : وقد غلب على الوَحشيّ . غير أن الأمثال التي تداولها العرب ، ووردت في المعاجم وكتب الأدب ، كقولهم في الرضا بالحاضر ونسيان الغائب : إن ذهب العَيْر فعَيْرٌ في الرِّباط ، وقولهم في الذل : أذل من العَيْر ، وقولهم في الهوان على هون : كان عَيْراً فاستأتن ، وقولهم في الموضع الذي لا خير فيه : هو

(١) يلاحظ أن ضبط هذا الجمع فيه تصحيف ، صحته بتسكين الفاء .
(٢) انظر معجم الشهابي ص ٤٠ و ٢٥٣ و ٦٨٧ .

ARCHIVE http://archivebeta.Sakhrit.com

		بجوف العَير ، أي ليس فيه ما يُنتفع به ، بينما حمار الوحش يصاد ويؤكل لحمه ، كل هذا يرجح لدينا اطلاق العَيْر على الحمار الأهلي ، وفي معجم الشهابي : العَير فحل الحمير . حمار القَبَّراب Baudet .
الأَتان	الحمارة . (ج) أُتن أُتن .	هذا وكان من المستحسن تعريف الأتان بأنها أنثى الحمار ، كما في أكثر المعاجم . وفي متن اللغة : الأتان الأنثى من الحُمُر . والأتانة غير صحيح أو قليل . وهذا القول مؤيد بما ورد في الأمهات .
الأَتانة	الأتان .	
الجاموس	نوع من البقر ، أسود اللون ، ضخم الجثة . واحدته جاموسة . (ج) جواميس .	ليس الجاموس نوعاً من البقر ، ولا هو أسود اللون دوماً ؛ والتعريف الصحيح له أنه : حيوان أهلي ، من جنس البقر والفصيلة البَقَرية ورتبة مزدوجات الأصابع المجترة ، يربى للحرث ودرّ اللبن[1] .
الخِنْزِير	حيوان ثديي ثقيل ذو فِرطيسة طويلة وأنياب كبيرة ، خصوصاً عند الذكور منها . (ج) خنازير .	الخنزير : حيوان دَجون ، من الفصيلة الخنزيرية ورتبة مزدوجات الأصابع الجسئيّات ، وله سلالات عديدة ، يربى للاستفادة من لحمه وجلده ، وهو من أقذر الحيوانات ، ومنه نوع وحشي يعيش في الأدغال .

(١) انظر معجم الشهابي ص ١٠٧ .

الفِيلُ	حيوانٌ ضخمُ الجسمِ، ذو خرطوم طويل يتناول به الأشياء كاليد، ونابان بارزان كبيران يُتَّخَذُ منها العاج.	تعريف مقتضب، وكان من المستحسن الإشارة إلى أن الفيل: من العواشب الثدييات، وهو حيوان من الفصيلة الفيلية ورتبة الخرطوميات، ويبلغ وزنه خمسة أطنان إلى ستة، ويبلغ ارتفاعه مترين إلى مترين وسبعين سنتمتراً، وهو نوعان إفريقي وآسيوي. والفيل يمكن تأهيله واستخدامه. ويلاحظ في التعريف سقوط لفظة (له) أثناء الطبع قبل: (نابان بارزان).
القُنْدُس	حيوان من القوارض المائية، له ذنب قوي مفلطح، وغشاء بين أصابع رجليه يستعين به على السباحة، موطنه الأنهار الشمالية من آسيا وإفريقيا.	في معجم الشهابي: القُنْدُس (فارسية معربة) جنس حيوان من الفصيلة القندسية ورتبة القواضم، وهي مشهورة بفرائها.
الكَرْكَدَنّ	حيوان من ذوات الحافر، عظيم الجثة، كبير البطن، قصير القوائم، غليظ الجلد، له قرن واحد قائم فوق أنفه، ولذلك يقال له (وحيد القرن). لبعض أنواعه قرنان الواحد فوق الآخر؛ وهو هنديّ وإفريقيّ.	تعريف مسهب، ومع ذلك فقد خلا من أهم ما يعرّف الكركدن به، وهو أنه: حيوان من العواشب، من الفصيلة الكركدنية ورتبة مفردات الأصابع.

الكَلْبُ حيوان من ذوات الأربع ذو سلالات مختلفة ، يُعرف بنُباحه ، ومنه الوَحْشيّ ، والأليف الذي يحرس المنازل والمواشي ، وقد يُدرَّب على الصَّيْد و — كلّ سَبعٍ عَقور ، وربما وُصف به ، يقال رجلٌ كَلْب ، وامرأة كَلبة : خبيثٌ شرِّير .

تعريف الكلب بنُباحه غريب ، إنما هو : حيوان أهلي من الفصيلة الكلبية ورتبة اللواحم ، فيه سلالات كثيرة تربى للحراسة أو للصيد أو للتذة أو للجر الخ ... [١] ، وليس في الكلاب نوع وحشيّ ، إنما الكلب إذا ترك فقد يستوحش .

الحَلَزُون دويبّة تكون في الرِّمْث [٢] . و — حيوان بحري رِخو يعيش في صدفة .

في هذا التعريف ، المنقول عن المعجمات القديمة ، خلط بين نوعين من الحيوانات ، وفيه تخصيص غير صحيح ، والحلزون : جنس حيوان من الرخويات المعديات ، يعيش في صدفة ، فيه أنواع يأكلها الاوربيون [٣] .

ويلاحظ وجود تصحيف في ضبط صَدَفة .

ARCHIVE archivebeta.Sakhrit.com

(١) انظر معجم الشهابي ص ١٥٤ .

(٢) الرِّمْث — كما في المعجم الوسيط — نبات بري من الحمض كثير في بادية الشام ، ينسب إلى الفصيلة السَّرْمَقيَّة . هذا وليس صحيحاً أن يقال ان الحلزون لا يكون الا في الرِّمْث ، أو أن يقال انه حيوان بحريّ .

(٣) الحلزون Escargot هو الذي يعيش في صدفة ، وهناك حيوان آخر من الرخويات يسمى في الشام : البزّاق وفي الفرنسية Limace ، لا صدف له . انظر معجم الشهابي ص ٢٥٦ و ٣٩٣ .

الحَيّة	من الهوام[1] .	الحيّات رتبة من الحيوان ، فيهـا أنواع كثيرة ، كالثعبان والأفعى والصل وغيرها [2] .
الأفعى	حيّةٌ من شرار الحيّات ، رقشاء دقيقة العُنُق ، عريضة الرّأس ، قاتلة السّم (ج) أفاعٍ .	جنس حيات سامة ، من فصيلة الأفاعي للذكر والأنثى . والذكر أفعُوَان .
الوَحَرة	وَزَغة تكون في الصّحارى ، أصغر من العظاءة ، على شكل سامّ أبرصَ ، تعدو في الجبابين ، لها ذنبٌ دقيق تضرب به إذا عدَت ، لا تطأ شيئاً من طعام أو شراب إلا سمّمته ، ولا يأكله أحد إلا مشى بطنه وأخذه قيء ، وربما هلك ، وهي بيضاء منقّطة بحمرة ، وهي قذرة عند العرب لا تأكلها .	لا مكان لمثل هذا التعريف في معجم حديث ، والوَحَرة ، على ما يظهر من تعريفها : ضرب أو نوع من الوزغ ، وهي حيوانات من الفصيلة الوزغيّة ، ورتبة العظاء الحيات الألسنة .
الصَّقْرُ	ما يصيد من جوارح الطير ما خلا النسر والعقاب . (ج) أصقُر وصقُور .	هذا تعريف منقول عن معجم قديم ، والصقر علمياً : طائر من الجوارح ، من الفصيلة الصقرية ، وهذه الفصيلة فيها الصقر ، والباز ، والشاهين ، والعُقاب ، والباشق ، والحدأة الخ . . [3]

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) جاء في المعجم الوسيط في مادة (هـ م م) : الهامّة : الدابّة . وـ كل ذي سُمّ يقتل سمه . (ج) هوام . وفي القاموس : الهامّة : الدّابة ج . هوامّ . قال شارحه : قال شمر : الهوام : الحيات وكل ذي سم يقتل ، وأما ما لا يقتل ويسم فهو السوام . وفي اللسان : الهوامّ : ما كان من حشاش الأرض ، نحو العقارب وما أشبهها !

(٢) راجع هذه الأنواع في معجم الشهابي ، وقارن تعريفاتها بما ورد في المعجم الوسيط .

(٣) انظر معجم الشهابي ص ٢٦٦ .

		والصَّقْرُ مشهور بحدة البصر، يربى فتُصاد به الطيور، وقد يجمع على صُقُورة وصِقار وصِقارَة وصُقر، كما في القاموس المحيط.
الباز	ضرب من العصفور يستخدم في الصيد (ج) أبواز، وبيزان.	كيف يكون الباز من العصافير! والمعروف أن الباز: أحد الكواسر من الطير، من الفصيلة الصقرية ورتبة الجوارح، كما في معجم الشهابي. ولعل التعريف جاء مصحفاً، وأريد له أن يكون: ضربٌ من الصقور، كما في القاموس؛ أما ما يستخدم في الصيد، فأظنه الصقر نفسه.
البَأْز	لغة في الباز. (ج) أبؤُز، وبُئُوز، وبِئْزان. (انظر: ب و ز).	وفي القاموس: البازُ: البازي، مثناه: بازان وبازيان، ويجمع على بُزاة وبواز، وبُزاة وأَبْؤُز. وقد أغفل المعجم الوسيط كل هذا!
الحَمَامُ	من الطَّير: كلُّ ما هدر، أو شرب الماء من غير مصّ. ومنه القماريّ، والفواختُ، والدَّباسِيُّ، سواءٌ أكانت مطوَّقةً أو غير مطوقة، آلفةً أم وحشية. (ج) حمائم.	نقلت هذه التعريفات عن المعجمات القديمة، بما فيها من تناقض وبعد عن الدقة في التعريف، وقد جمع صاحب اللسان أقوال علماء اللغة في تعريف الحمام، ومنها ما يجعل حتى القطا من الحمام[1]، ومن ذلك قول الكسائي:

(١) القطا: جنس طير صحراوية من رتبة الدجاجيات، والفصيلة القطوية. انظر معجم الشهابي ص ٥٤١. ومعجم الحيوان لأمين معلوف.

ARCHIVE http://archivebeta.Sakhrit.com

الحَمَامَةُ واحدة الحمام « الذكر والأنثى » . (ج) حمائم .

الحمام هو البرّي ، واليمام هو الذي يألف البيوت ، على أنه أشار إلى أن الحمام عند العامة هي الدَّواجِنُ فقط .

والحمام علمياً : جنس طير من الفصيلة الحمامية ، ورتبة الحماميات ، فيه أنواع كاليمام والوَرَشان ، والحمام الطُّرْآنيّ ويسمى الحمام الأزرق في مصر والشام . وهو أصل السلالات الأهلية من الحمام ، كالحمام المُرَعَّش ، وحمام الزّاجل ، والمطوّق ، والمُسَرْوَل ، والمتقلّب ، والقُنْبَرِيّ الخ ..

أما القُمْرِيَّة والأطْرُغُلَّة والفاختة ، فهي من الفصيلة الحمامية ، ولكنها من جنس مستقل غير جنس الحمام [1] .

اليَمامُ الحمامُ البرّيُّ . واحدته : يمامة .

اليَمُّ الحمام الوحشيُّ . (ج) يوم .

الدَّجاجةُ طير من الدَّواجِن (الذكر والأنثى) .

تعريف مقتضب وناقص . ورد في القاموس المحيط : الدَّجاجة للذكر والأنثى ويُثَلَّث . وفي اللسان : الدِّجاجة والدَّجاجة : معروفة سميت بذلك لاقبالها وإدبارها ، تقع على الذكر والأنثى ، لأن الهاء إنما دخلته على أنه واحد من جنس ، وفي معجم الشهابي :

ARCHIVE http://archivebeta.Sakhrit.com

(١) راجع هذه الأسماء في معجم الشهابي .

دَجاجة: Poule (واسم الجنس الدجاج وهو مثلث الدال ، والفتح أصح[1] ... جنس طير أهلية من رتبة الدجاجيات والفصيلة التَّدْرُجيَّة ، فيها سلالات كثيرة) .

العَقْعَق: طائرٌ نحوُ الحمامة طويلُ الذَّنَبِ فيه بياضٌ وسوادٌ، وهو نوعٌ من الغِرْبان ، والعربُ تتشاءَمُ به

تعريف غريب منقول عن المعجمات القديمة ، وتعريف العقعق — كما ورد في معجم الشهابي — « جنس طير من الفصيلة الغرابية ورتبة الجواثم ، وهي صخّابة لها أذناب طوال ومناقير طوال قوية ، تمشمش على رؤوس الشجر وتغتذي بالحبوب والأثمار والحشرات وبيض الطيور حتى صغار الطير . وهي ذكية شرسة تعد من أغمر الطيور » .

القُعْقُع: العَقْعَق .

ويلاحظ أن المعجم الوسيط ، في تعريف القُعْقُع ، أحال على تعريف العَقْعَق ، ويرغم هذه الإحالة وضع رسم طائر يختلف شكله تمام الاختلاف عن شكل الرسم الموضوع إلى جانب العقعق .

ومما يلاحظ في تعريف العقعق وجود تصحيف في ضبط لفظة (طويل) .

---

(١) فتح الدال أفصح في الجمع ، على ما ورد في اللسان .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

البَلَمُ	صغارُ السَّمَك .	ورد مثل هذا التعريف في القاموس ، وليس البَلَم علميًّا صغار السمك ، إنما هو : جنس سمك صغار من فصيلة الصابوغيات . يحفظ ويباع مملحًا .
السَّرْدين	ضرب من السمك الصغير يملح ويحفظ . (د) .	في معجم الشهابي سَرْدين (معربة Sardine) سمك مشهور من الفصيلة الصابوغية ، منسوب إلى جزيرة سردينية .
الحُوت	العظيم من السَّمك . (ج) حيتان .	ليس الحوت علميًّا: العظيم من السمك ، بل هو : أنواع مختلفة من رتبة الحيتان ، وهي من الثدييات المائية الكبيرة الحجم ، وتشبه السمك في شكلها العام ، وتعيش في البحار .
البال	سمكة غليظة تدعى جَمَلَ البحر . (الحوت العظيم) .	
الدُّخَس	دابة في البحر تنجي الغريق بأن تمكّنه من ظهرها ليستعين على السباحة ، يقال لها الدُّلفين .	نقل المعجم الوسيط هذين التعريفين عن المعاجم القديمة بما فيهما من خرافة شاعت قديمًا . أما الدُّخَس أو الدُّلفين فهما — كما في معجم الشهابي — جنس حيوانات لبونة من رتبة الحوتيات يعشن في البحار . ويلاحظ في التعريفين ، استعمال كلمة (دابة) والدَّابة : كلُّ ما يَدِب على الأرض . كما يلاحظ أن المعجم الوسيط أوضح التعريف برسمين مختلفين .
الدُّلْفين	دابّة في البحر يقال إنها تُنَجِّي الغريق .	

ARCHIVE http://archivebeta.Sakhrit.com

العَنْبَر مادة صلبة لا طعم لها ولا ريح إلا إذا سحقت أو أحرقت ، يقال إنه روث دابة بحرية . و — سمكة بحرية يؤخذ من جلدها تروس الحرب . و — بناء رحب يتخذ للخزن أو العمل ومأوى للجنود أو المرضى . (مع) أنبر . (ج) عنابر .

كان من حق هذه التعريفات لمعاني العنبر الثلاثة ، أن يفصل بينها ، وخاصة بعد أن ذكر أن ثالثها معرب .

والعمل لتعريف العنبر الصحيح علمياً :

العَنبر : حيوان ثديي بحري من الفصيلة القيطسية ورتبة الحيتان ، يفرز مادة العنبر . (ج) عنابر .

و — كتل تخرجها بعض الحيتان (ولاسيما حيوان العنبر) مع رجيعها[1] ، وهذه الكتل تطفو على سطح البحر ، وهي مؤلفة من مادة شمعية تفرزها الرخويات الرأسية الأرجل ، التي تتغذى منها تلك الحيتان . وللعنبر رائحة زكية .

و — محرفة من أنبار (فارسية) ، تطلقها العامة على مخزن الغلة ، ومأوى الجند أو المرضى[2] .

---

(١) من لطيف ما ورد في اللسان ، حديث ابن عباس : أنه سئل عن زكاة العنبر فقال : إنما هو شيء دَسَره البحر .

(٢) نقل المعجم الوسيط عن بعض الأمهات تعريف الأنبار في مادة (ن ب ر) فذكر : ان الأنبار : بيت التاجر الذي يجمع فيه المتاع والغلال . و — أكداسُ البُرّ . واحدها : نِبرٌ . (ج) أنابير . دون أن يذكر ان هذه الكلمة معربة وأنها كلمة العنبر نفسها عند العامة .

العَنْكَبوت	دويبّة تنسج من لعابها في الهواء وعلى رأس البئر نسيجاً رقيقاً مُهلهلاً تصيد به طعامها (مؤنثة وقد تذكر). (ج) عَنْكبُوتات، وعَناكِبُ، وعَناكِيبُ.	هذا التعريف للعنكبوت، المنقول عن المعاجم القديمة، يستحسن أن لا يثبت في معجم حديث، لأن خيوط العنكبوت لا تنسج في الهواء، ولا على رأس البئر فحسب، والعنكبوت — كما في معجم الشهابي — جنس حيوانات من رتبة العناكيب أي الرتيلاوات، فيه أنواع عديدة.
الرُّتَيْلَى	ضربٌ من العناكب.	
الرُّتَيْلاء	الرُّتَيْلَى.	
الجُعَلُ	حيوان كالخنفساء يكثر في المواضع الندية. (ج) جِعلان.	تعريف منقول عن المعجمات القديمة، والجعل حشرة، ويعرّف علميا بأنه: جنس خنافس من متمدات الأجنحة.
اليعسوبُ	مليكة النحل وهي أنثى، وكان العرب يظنونها ذكراً لضخامتها. (ج) يعاسيب.	تعريف حسن لليعسوب، وكان صاحب القاموس عرّفه بأنه: أمير النحل وذكرها، وقد أغفل المعجم الوسيط معنى آخر لليعسوب وهو: جنس حشرات من الفصيلة اليعسوبية [1]، وفي القاموس اليعسوب: طائر أصغر من الجرادة أو أعظم، وضرب من الحجْلان، وغُرّة في وجه الفرس وغير ذلك.

(يتبع)

عدنان الخطيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) انظر معجم الشهابي ص ٣٩٠ و ٥٠٦.

العربية التونسية

ربما انصرف ذهن القارئ إلى أني سأتكلم على اللغة العامية الدارجة في تونس ، ولكني لم أقصد إلى هذا ، وإن كانت هـذه الألوان العامية حرية بالدرس والبحث عملاً بالنهج العلمي في درس اللغات دراسة تأريخية تعين على فهم شيء من تاريخ فصيح العربية .

وقد تهيأ لي أن أقضي في تونس ما يقرب من سنة كاملة ، فكان لي أن ألمّ بشيء يتصل بأدب القوم وطرف آخر من معارفهم ، وأساليبهم في الكتابة . ولم أقتصر على النظر في هذه الأمور ، فقد استوقفتني لغة الصحيفة اليومية بما فيها من خبر سياسي ، وآخر يتعلق بما يجري بين الناس في معاملاتهم وشؤونهم الخاصة ، وما يعرض لهم من أمور . ولم أقتصر كذلك على النظر في هذه الأبواب في هذه الفترة التي نباشرها في تأريخنا المعاصر ، بل تخطيتها إلى النظر في الصحف والمجلات التي ظهرت في عهد ما قبل الاستقلال .

وهذه الفترة الأخيرة مفيدة لنا نحن المشارقة الذين ضرب المستعمر بيننا وبين اخواننا في الشمال الإفريقي .

وقد قلت : اني وقفت على أشياء كثيرة تتصل بلغة التونسيين فرأيت أن أسجلها وأشير اليها خدمة للتاريخ اللغوي . ولم أرد أن أسلك في هذا البحث مسلك المخطئة فأدلّ على مكان التجاوز للفصيح في هذه الاستعمالات التونسية ، ذلك أن هذه الاستعمالات التونسية فصيحة ، وإن عرض لها شيء يبعدها عن الفصيح المشهور ، فقد اتصفت بلون من الإقليمية أو قل المحلية ، ولهذا أسباب سأعرض لها عند

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكلام على هذه الاستعمالات . ولا أريد أن أنهي هذه المقدمة القصيرة دون أن أشير إلى أن هذه العربية التونسية قد حفلت بشيء من الفصيح القديم الذي ندر استعماله في بلاد المشرق .

يشيع في هذه اللغة صيغ عربية لم تجر على نحو ما نصّت عليه كتب اللغة ، أو على نحو ما جرى الاستعمال به في غير هذه الديار فمن ذلك :

الفعل « حجر » ، فالمعروف في استعماله أن يجيء ثلاثياً مجرداً ، والقاعدة اللغوية تجري على أنه إذا سمع المجرد فلا يلجأ إلى المزيد إلا لفائدة مقتضاة[1] ، ولكن التونسيين يستعملون هذا الفعل بصيغة التضعيف فيقولون مثلاً : « حجّرت الحكومة الإفطار العلني في خلال شهر الصوم » . أو أنك تقرأ على لافتة في الطريق « وقوف السيارات محجّر هنا » ومعنى هذا أن صيغة المضعف من هذا الفعل هو الفصيح الجاري عندهم فهم يستعملونه كما يستعملون سائر الصيغ التي تأتي منه كاسم المفعول مثلاً .

هذا هو الاستعمال التونسي أما الفصيح المشهور فان الفعل « حَجَرَ » الثلاثي المجرد يعني « منعَ » والحَجْر هو المنع وفي لغة التنزيل : « ويقولون حِجْراً محجوراً »[2]

---

(١) هذه القاعدة أخذت بها العربية وجرى عليها الاستعمال ؛ وفي لغة التنزيل ما يؤيد ذلك فقد قال تعالى : « يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده » (سورة النمل ١٨) . ألا ترى أن الفعل « حطم » جاء بصيغة المجرد ولم يأت مضعفاً كما هو شائع في استعمالنا الحديث ، ولكن الاستعمال يعدل عن المجرد إلى المزيد لفائدة يقتضيها المعنى ، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : « يستضعف طائفة منهم يذبّح أبناءهم ويستحيي نساءهم » (سورة القصص ٤) فالفعل « يذبح » جاء مضعفاً والتضعيف في هذا المقام فائدة خاصة للدلالة على التهويل والاستفظاع . ومن هذه الفوائد ما ورد في قوله تعالى : « وغلّقت الأبواب » (سورة يوسف ٢٢) فالتضعيف في الفعل يفيد الكثرة .

(٢) اللسان مادة « حجر » سورة الفرقان ٢٢ .

أي حراماً مُحرَّماً فقد استعمل الثلاثي المجرد في صيغة اسم المفعول ، ومنه قولهم « حَجَرَ عليه القاضي يحجُر حَجْراً » إذا منعه من التصرف في ماله . وفي حديث عائشة وابن الزبير : « لقد هممت أن أحجر عليها » هو من الحجر المنع ، ومنه حَجْر القاضي على الصغير والسفيه إذا منعهما من التصرف في مالهما .

وينبني من هذا الفعل وزن « تفعَّلَ » فيقال تحجر على ما وسعه الله[1] أي حرّمه وضيّقه . وفي الحديث لقد تحجرت واسعاً ، أي ضيقت ما وسعه الله وخصصت به نفسك دون غيرك ، وقد حَجَرَه وحجَّره .

وينصرف المضعف من هذا الفعل إلى معان أخرى فيقال : حجَّرَ القمر إذا استدار بخط دقيق من غير أن يغلظ ، وكذلك إذا صارت حوله دارة في الغيم . والتحجير أيضاً أن تَسِمَ حول عين البعير بِمِيسم مستدير[2] .

ومن هذه الاستعمالات التونسية الفعل « تحصَّل » على وزن تفعّل وهي تدخل في الباب المتقدم ذكره ، فالتونسيون يستعملون هذه الصيغة ولا يفطنون الى أن المجرد يغني عنه ويسد مسده ، وليس من ضرورة تستدعي اللجوء الى هذه الصيغة ، فهم يقولون مثلاً : « تحصّلت الحكومة على النتائج الباهرة في مقاومة التخلف الاقتصادي » فيعدون الفعل بـ « على » كما يتعدى الفعل المجرد « حَصَلَ » بهذا الحرف نفسه . وهذه الصيغة غير معروفة على هذا النحو في الفصيح المشهور ذلك أنهم يقولون « تحصَّلَ الشيء » بمعنى تجمع وثبت[3] . وهذه الزيادة في هذا الفعل قد نقلت الفعل إلى معنى آخر .

---

(١) اللسان مادة « حجر » .

(٢) الصحاح مادة « حجر » .

(٣) اللسان مادة « حصل » .

ومن هذه الأفعال التي ترد في الاستعمال التونسي على نحو خاص الفعل «وَقَعَ» ولا بد من النظر في هذا الفعل فقد كثر استعماله بشكل يدعو إلى التأمل ، كأن يقال « المسألة التي وقع بحثها » ولا يقال المسألة التي بُحثت . ويقولون : « المشكل الذي وقع النقاش فيه » ، وأنت واجد مثل هذا الاستعمال في الصحف والمجلات والكتب العلمية وهو من الكثرة بحيث يجب الوقوف عليه . وأظن أن هذا الاستعمال قد حصل في العربية التونسية بسبب التأثر بالاستعمالات الفرنسية ، واللغة الفرنسية ذات أثر في الاستعمال التونسي كما سنتبين .

ومن هذه الأفعال أيضاً الفعل « أطرد » والتونسيون لا يستعملون المجرد الفصيح المشهور والذي يغني عن هذه الصيغة المزيدة فيقولون مثلاً : « أطرد العامل من عمله » وفي الفصيح المشهور الطرد الإبعاد ، والرجل مطرود وطريد ، أما الفعل «أطرد» فلها استعمال خاص فيقال : أطردت الإبل أي أمرت بطردها ، وفلان أطرده السلطان إذا أمر باخراجه عن بلده[1] .

قال ابن السكيت : اطردته إذا صيرته طريداً ، وطردته إذا نفيته عنك وقلت له : اذهب عنا . وابن شميل يقول : اطردت الرجل أي جعلته طريداً لا يأمن . فأنت ترى ان صيغة «أطرد» تفيد فائدة ، وهي تؤدي خصوصية معنوية لا تأتي من المجرد « طرد » .

ومن هذه الاستعمالات التونسية قولهم : « اقتبل فخامة الرئيس الوفد التجاري على الساعة العاشرة صباحاً » . وفي هذه الجملة نجد الفعل « اقتبل » فيثير استغرابنا ، ذلك أننا لم نألف هذه الزيادة في الفعل « قبل » والمراد منها « استقبل » المشهور الشائع . وفي كتب اللغة : « اقتبل أمره » إذا استأنفه[2] . ومن هنا فالاستعمال التونسي استعمال خاص لم تذكره معجمات العربية وكتب اللغة الأخرى .

(٢) اللسان مادة « طرد » .

(٣) اللسان مادة « قبل » .

ثم إنك تلمح في هذه الجملة شيئاً آخر ، ذلك هو استعمال حرف الجر « على » للدلالة على الظرفية ، والمشهور المعروف ان الحرف « في » هو الذي يؤدي هذه الظرفية الزمانية ، وليس لنا أن نلجأ إلى التأويل فنقول إن الحرف « على » تضمن معنى « في » فنقول بالتضمين الذي يشيع في حروف الجر ، ذلك أن هـذا الخروج التضميني لم يؤيده السماع .

ومن هذه الأفعال التي يتجاوزون في استعمالها الفصيح المشهور الفعل « أبهر » ويريدون به الثلاثي « بهر » فيقولون مثلاً « ابهرتُ بما شاهدته من التقدم العلمي » وكان الأصوب والأرشق أن يقال « بُهِرتُ » .

وزيادة الهمزة في هذا الفعل تنقل الفعل إلى معانٍ أخرى كما تنص على ذلك كتب اللغة ، فالفعل « أبهر » استغنى بعد فقر ، وأبهر تزوج سيدة وهي البهيرة ، وأبهر الرجل إذا تلون في أخلاقه دمائة مرة وخبثاً أخرى [١] .

وقد تقرأ في الصحف التونسية ولا سيما ما ظهر منها قبـل الاستقلال قولهم « ذكرت الرصيفة « الثريا » خبر استقالة الوزارة » . وفي هذه الجملة بنوا من الفعل « رصف » على فعيلة للدلالة على ما نستعمل في عربيتنا السائرة في أيامنا هذه لفظة « الزميلة » وهو استعمال خاص بهم لا يدرك إلا بهذا التوسع في دلالة الفعل « رصف » [٢] .

ومن ألفاظهم الاصطلاحية كلمة « التصبير » وهي كلمة تدل على لون من ألوان الصناعة الحديثة . وهو اصطلاح لا نعرفه في المشرق وإنما نستعمل « التعليب » ، ومعناه خزن الفواكه واللحوم والخضر في الصفائح المعدنية . واستخدامهم هـذا

---

(١) اللسان مادة « بهر » .

(٢) جاء في « المعجم الوسيط » : هو رصيف فلان أي يحاكيه في عمله ويألفه ولا يفارقه . وهي رصيفة . وراجعنا اللسان والتاج والصحاح فلم نجد فيها معنى المحاكاة في العمل . ومع هذا فالمعنى المذكور معروف في الشام . (لجنة المجلة)

الاصطلاح لا يخلو من أساس لغوي معروف ، فأصل الصبر الحبس [١] ، وكل من حبس شيئاً فقد صبره ، ومنه الحديث : نهى عن المصبورة ، ونهى عن صبر ذي الروح ، والمصبورة التي نهى عنها : هي المحبوسة على الموت . وفي حديث آخر في رجل أمسك رجلاً وقتله آخر فقال : اقتلوا القاتل واصبروا الصابر يعني احبسوا الذي حبسه للموت حتى يموت كفعله به قال عنترة :

فصبرت عارفة لذلك حرةً ترسو إذا نفس الجبان تَطلَّعُ

يقول : حبست نفساً صابرة .

فأنت ترى أنهم بنوا مصطلحهم من فكرة الحبس الذي يؤدّى بالفعل « صبر » كما أن « التعليب » في استعمال المشارقة جاء من « علبة » والعلبة في اللغة قدح ضخم من جلود الإبل . وقيل العلبة من خشب كالقدح الضخم يحلب فيها [٢] . وما زال العراقيون يستعملون العلبة للإناء الذي يضعون فيه اللبن الخاثر ، وهي من خشب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأنت تقرأ في كتبهم الفقهية مثلاً : « يجوز للمسوغي أراضي الدولة أن يتمتعوا بالفوائد التي تضمنها فصول القانون » والمسوغ من مصطلحاتهم القانونية فهو المستأجر ، ويبدو ان هذا الاستعمال قديم في لغتهم القضائية .

و « الفصول » عندهم تقابل « المواد » القانونية في اصطلاحنا .

وتأخذ الصحيفة اليومية فتقرأ في الصفحة الأولى : « خطاب الممثل القار للجمهورية التونسية في ندوة الأمم المتحدة » . وتعيد قراءة هذه الفقرة فتقف على كلمة « القار » ، فتلمح فيها شيئاً لم تألفه ، ثم تعرف أن التونسيين يريدون بالقار كلمة « الدائم » أي الممثل الدائم . فقد بنوا من الفعل « قر » على وزن فاعل للتعبير

(٣) اللسان مادة « صبر » .
(٤) اللسان مادة « علب » .

عن هذا المعنى ، وما أظن أن هذا الفعل يوصلهم إلى ما يريدون بيسر . وهذا لون من ألوان التوسع في الاستعمال .

وربما يدفعك حب التطلع فتقرأ الأخبار القضائية فتقرأ فيها « القرار المخدوش فيه » ويريدون بالخدش على سبيل المجاز الطعن كما في استعمالنا مثلاً « القرار المطعون فيه » .

وللقوم أساليب خاصة في التعبير عن شؤونهم وما يضطربون فيه ، وهذه التعابير وإن كانت عربية فهي موسومة بالقليمية محلية ، فأنت تقرأ في الصحيفة التونسية : « ازدان فراش السيد فلان وعقيلته بمولود ذكر أسمياه محمداً » فهذا اللون من التعبير لا تجده إلا في الصحف التونسية .

وقد تجد في هذه العربية التونسية شيئاً آخر هو أن المادة العربية الفصيحة استعملت في دلالة جديدة لا تمتّ إلى الأصل بسبب ، أو قل إن المادة الفصيحة قد أحالها الاستعمال إلى مادة عامية دارجة . ومن ذلك مادة « شيح » فيبنون منها الفعل « شاح » واسم الفاعل « شايح » لتدل على الجفاف واليبس ، فإذا قالوا : لحم شايح فيريدون به (جاف) ، وشاحت الفاكهة أي جفت ويبست .

وإذا رجعنا إلى كتب اللغة نرى مادة « شيح »[١] ودلالتها على الحذر والجد ، والشائح والمشيح والشيِّح هو الحذر الجاد . ولا نعلم وجهاً للتقريب بين الفصيح والمستعمل الدارج .

وقد تقرأ من استعمالاتهم ما يبنى على أصول قديمة ولكنهم استخدموه بشيء من التوسع لأغراض جديدة ، ومن ذلك ما تجد أحياناً في الصحف من استعمالاتهم « الوسق » بمعنى التصدير للبضائع . والوسق بفتح الواو وكسرها هو حمل بعير ، وهو ستون صاعاً ، والوسق وقر النخلة ، ووسقت الشيء أسقه وسقاً إذا حملته[٢] .

---

(١) اللسان مادة « شيح » .

(٢) اللسان مادة « وسق » .

وفي لغتنا التجارية التصدير للبضاعة ، ويقابله الاستيراد ، ولكن التونسيين يعدلون عن الاستيراد إلى التوريد ، قال ابن سيده تورّده واستورده كورّده[١] .

ونقرأ في هذا الباب قولهم : « وردت الحكومة البضائع التي ثبتت صلوحيتها للاستهلاك » ويريدون بالصلوحية الصلاح ، والمصدر من « صلح » صلاح وصلوح ، وليس من حاجة إلى المصدر الصناعي « صلوحية » لأن هذا المصدر أكثر ما يلجأ إليه في مادة المصطلح الفني .

وهناك ألفاظ ذات مدلولات تونسية اصطلاحية غير معروفة عند المشارقة مثلاً ومنهـا : « التربص » ويراد به ما يراد بالكلمة الفرنسية Stage وما نصطلح عليه « بالدورة التدريبية » لاكتساب الخبرة والتجربة في فن من الفنون ، وليس من سبيل إلى استعارة « التربص » في هذا المعنى إلا بالتوسع البعيد ، ومثل هذا المصطلح « المناظرة » بمعنى الاختبار والامتحان للحصول على السابق في النتيجة ، وفي هـذا مجاوزة وابتعاد عن الامتحان والاختبار اللذين يراد بهما النجاح ليس غير ، على ان في أخبار الأدب القديم ما يشبه استعمال التونسيين لهذه الكلمة ، كالمناظرة بين الكسائي وسيبويه مثلاً .

ونقرأ في الصحف التونسية « السلم العالمية » و « استتبت السلم » وهو خلاف المشهور من تذكير السلم في لغة المشارقة ، وكتب اللغة تشير إلى فصاحة هذا الاستعمال ، فقـد جاء في لسان العرب : السلم بفتح السين وكسرها الصلح يذكر ويؤنث[٢] .

وقد وردت هذه الكلمة في لغة التنزيل ، فجاءت بكسر السين في سورة البقرة[٣] كما جاءت بفتح السين في قوله تعالى « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها »[٤] وقد جاء

(١) اللسان مادة « ورد » .
(٢) اللسان مادة « سلم » .
(٣) سورة البقرة ٢٠٨ .
(٤) سورة الأنفال ٦١ .

ضمير الغيبة الذي يعود للسلم مؤنثاً في هذه الآية ، كما جاءت بفتح السين واللام في أربع آيات أخرى في سور مختلفة .

وترى التونسيين يستعملون ألفاظاً لا نجدها في استعمالنا المشرقي ، ولكنها فصيحة تثبتها معجمات العربية ، فأنت تقرأ في صحيفة من صحفهم : ان التاجر الفلاني يزف البشرى إلى « حرفائه » و « الحرفاء » جمع « حريف » وحريف الرجل معامله في حرفته [١] . والحريف يقابل « الزبون » في لغة المشارقة وجمعت على « زبائن » كما هو الدارج المألوف ، واستعارة الزبون لهذا المعنى شيء مولد ، وكتب اللغة لا تثبت هذه الدلالة ، فالناقة الزبون هي التي تدفع حالبها .

والفصيح القديم كثير في اللغة التونسية فهم يطلقون « الشارع » على الطريق العريض الواسع ، و « النهج » على الطريق الذي دونه ، و « الزَّنقة » على الطريق الضيق الذي لا ينفذ « Impasse » . وأكبر الظن أن هذه الكلمة الأخيرة تقابل « الزقاق » في استعمالنا ، وهي قريبة منها في الاشتقاق . والزُّقاق بضم الزاي السكة يذكر ويؤنث ، وقيل : الزقاق الطريق الضيق دون السكة .

على أن « الزَّنقة » قد وردت في فصيح العربية وهي ميل في جدار في سكة أو عرقوب واد . والزنقة السكة الضيقة . وفي حديث عثمان « من يشتري هذه الزَّنقة فيزيدها في المسجد » .

ويستعملون « الأحواز » جمع « حَوز » للدلالة على الجهات القريبة من المدينة الكبيرة كما نستعمل « الضواحي » أو « الأرباض » أو ما شابه ذلك ، فيقولون مثلاً « تونس والأحواز » يريدون العاصمة وما جاورها . والحوز في كتب اللغة ما انضم إلى الدار من المرافق والمنافع . وفي الحديث : « فحمى حوزة الإسلام » أي حدوده ونواحيه . وهكذا استعملت الكلمة التونسية بشيء من التوسع للاستفادة منها في هذه الدلالة الجديدة .

---

(١) اللسان مادة « حرف » .

وفي التنظيمات الادارية نجد ان المدينة الكبيرة يطلق عليها « الولاية » ، وصاحب الولاية هو « الوالي » ، والولاية والوالي من الكلمات التي استعملت قديماً ، وظلت مستعملة إلى العهود القريبة الماضية ، وكان على الولاية قبل فترة الاستقلال « القائد » .

ويأتي بعد الولاية في التنظيم الاداري « المعتمدية » وهي أصغر من الولاية . ومعنى ذلك ان الولاية يتبعها « معتمديات » عدة ، وصاحب المعتمدية هو « المعتمد » وهذا من المصطلح الجديد الذي لا تراه في غير تونس . وكان على هذه الشعبة من التنظيم الاداري في عهد الحماية الفرنسية « الكاهية »[1] . ثم تأتي « المشيخة » للقصبة الصغيرة وصاحبها هو « الشيخ » .

وقد تسمع في تونس وغيرها من الشمال الافريقي ألفاظاً في هـذا الباب لا نعرف له أصلاً ومن ذلك : « الدشرة » للجماعة الصغيرة المستوطنة في مكان معين ، وهي لا تدخل في التنظيمات الإدارية الرسمية ، ومثلها « المداشر » في المعنى نفسه للمجتمعات الصغيرة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن المناسب أن نعرض للألفاظ المتعلقة « بالوظيف الحكومي » ، ونقول الوظيف الحكومي ولبس الوظائف الحكومية كما هو المسموع عادة . وفي هذا الباب مادة كثيرة لم نعرفها في غير أقطار الشمالي الافريقي بصورة خاصة . ولا بد أن نأتي على هذا الجانب من هذه المادة اللغوية وهو :

(١) مدير المراسيم لرئيس الجمهورية ، وهو الموظف الكبير الذي يكلف أموراً معينة كاستقبال ضيف كبير أو ما أشبه ذلك ، وهي تقابل عندنا « مدير التشريفات » أو شيئاً يشبه ذلك .

(٢) كاتب الدولة ، وهو منصب معروف في تونس ، و « كاتب الدولة » عندهم هو « الوزير » عندنا . وكأنهم عدلوا عن الوزير وهو كلمة واحدة إلى هـذا

(١) من الألفاظ التركية .

التركيب الإضافي تقليداً وترجمة للكلمة الفرنسية في هذا الباب «Secretaire d'Etat» وعلى هذا الأساس أيضاً لم تكن لفظة « الوزارة » في جدول مناصبهم الرسمية ، فهي « كتابة الدولة للتربية القومية » . وأود أن أنبه إلى أن الوصف بكلمة « القومية » أو « القومي » يرد كثيراً في أسماء الإدارات الرسمية وشبه الرسمية نحو « صندوق الضمان القومي » ، و « الجامعة القومية لاتحاد النقابات » . وهذا الوصف لا يرمز إلى شيء من معناه المتعارف عندنا في الديار المشرقية ، فهو مقابل للكلمة الفرنسية « National » [1] .

(٣) كتابة الدولة للفلاحة ، و « الفلاحة » عندهم هي « الزراعة » في الميادين الرسمية وفي اللغة العامة ، و « الفلاح » عند التونسيين هو غير المشتغل بالأرض كما هي الحال عندنا ، فهو المالك للأرض والمنتفع منها والمستثمر لها فلا يقولون : « زارع » أو « زرّاع » أو كما نقول في استعمالنا الشائع اليوم « مزارع » . وهكذا جاءت « الفلاحة » في كثير من مصادرهم التاريخية القديمة ، وقد استعمل ابن خلدون في المقدمة « الفلاحة » ولم يستعمل « الزراعة » مثلاً [2] .

(٤) « مصلحة الاستخلاص » نجد لفظة « الاستخلاص » مستعملة كثيراً لغرض فني فالمراد بها « الاستحصال » للرسوم والضرائب مثلاً كأن نقرأ « استخلاص الاداءات القارة » .

وقد نقرأ « قباضة الاداءات القارة » و « القباضه » تعني المكان الذي تسلم فيه « الأداءات » ، والأداءات هي « الضرائب » التي يجب أداؤها ، أما

(١) ترجمة الفرنسية بكلمة قومي صحيحة ، وهي المستعملة في مصر والشام (لجنة المجلة)

(٢) لم يستعمل القدماء في الشرق والغرب إلا كلمة « الفلاحة » بمعنى « Agriculture » فقالوا كتاب الفلاحة الرومية ، وكتاب الفلاحة النبطية ، وكتاب الفلاحة الأندلسية وهكذا . (لجنة المجلة)

« القارة » فقد مرت بنا وأسلفنا الكلام عليها . وقد تكون القباضة الإدارة التي يتسلم منها الموظفون مرتباتهم الشهرية .

(٥) « المكتب الجهوي لجراية التقاعد » والمراد « بالمكتب الجهوي » المكتب الذي ترجع إليه شؤون الجهات والاقاليم غير العاصمة ، وقد يطلق على هذه « الجهات » « والآفاق » كأن يقال : « فلان من محامي الآفاق » أي مختلف الجهات ما خلا العاصمة .

و « الجهوي » نسبة إلى « جهة » . وهذه النسبة غير معروفة في الفصيح المشهور ، فكأنهم ردوا المحذوف وهو فاء الكلمة ، والصحيح فيها عدم رد المحذوف إذا كان فاءً لا لاماً ، فالنسبة إلى « عِدَة » « عِدَيّ » . ومثل هذا التجاوز ما نرى من النسبة إلى « وحدة » في أيامنا هذه فيقولون : « فلان وحدوي » أي من أنصار « الوحدة » ، فوحدة بين الأقطار العربية ، وزيادة الواو قبل ياء النسب لم تجر على وجه صحيح ، والفصيح هو « وحديّ » . أما « الجراية » فهي من المصطلح الذي لم يشع في عصرنا هذا فهو المعين المرسوم من نقد أو عين .

(٦) « القيم العام » وهو ما يقابله في الفرنسية Surveillant général وهو مسؤول في المدارس الثانوية عن ضبط النظام وعن أمور أخرى وهو يساعد ناظر المدرسة في ذلك .

(٧) « المتفقد » هو ما يقابل عندنا « المفتش » وعندهم متفقد للتعليم الثانوي ومثله للتعليم الابتدائي وغير ذلك مما يمس دائرة التفتيش في مجالات عدة .

(٨) « الحجرة التجارية للحاضرة » ، وقد عدلوا عن (الغرفة) التي يستعملها أهل المشرق في هذا الأمر ، وما أظنهم أرادوا التمييز بين الحجرة والغرفة من حيث الاصطلاح اللغوي . و (الحاضرة) عندهم هي مدينة تونس دون

سائر المدن الأخرى فإذا اطلقت فهم المراد من لفظة (الحاضرة) ولم يختلط الأمر بالحواضر الأخرى .

(٩) « الرائد الرسمي » وهو الجريدة الرسمية سميت بهذا الاسم تمييزاً من كونها تختلف عن الجرائد الأخرى .

(١٠) « الصبايحي » وهو عون من أعوان (الوالي) يقوم بشؤون الوالي نحو سجن الموقوفين أو غير ذلك .

(١١) « المطلب » ويقابل لفظ (العريضة) عند أهل المشرق ، وربما كان من أثر الترجمة عن الفرنسية فهو فيها « Denande » . وهم يقولون مثلاً : (على المترشحين للمدارس الثانوية ان يعمّروا المطالب الضرورية) ولفظ (التعمير) يقابل (التحرير) عندنا ، وهذا شيء لا نعرفه من معنى التعمير .

ARCHIVE

الألقاب العسكرية :

ما زالت هذه الألقاب تحفل بالدخيل الأجنبي من تركي قديم إلى فرنسي جاء به الحكم الاستعماري . ومن ذلك مثلاً : (الشاوش) و (الباش شاوش) و(الأمير ألاي) و (اليوزباشي) و (القائم مقام)[1] و (الكوميسار) وغير ذلك.

مصطلحات الجامع الأعظم :

هو « جامع الزيتونة » الشهير في التاريخ التونسي ، وهو صفحة من الصفحات المشرقة ، والمعهد الأول لتونس ، ولهذا المعهد مصطلحاته وألقابه فعندهم :

١ — (الشيخ) ويطلق على خريج الجامع الأعظم وعلى من يباشر التدريس فيه.

٢ — (الأهلية) وهي شهادة الدراسة الابتدائية في المعهد .

٣ — (التحصيل) وهي شهادة الدراسة الثانوية وتقابل البكالوريا .

٤ — (العالمية)وهي شهادة الدراسة العالية وتقابل الليسانس في الأنظمة الحديثة .

(١) « القائم مقام » من الألفاظ التي استعملها الترك بالإفادة من المادة العربية .

المصطلحات القضائية :

للتونسيين مصطلحات خاصة بهم في هذا الباب لا بد من تسجيلها ، ومن ذلك :

١ — (محكمة التعقيب) التي يطلق عليها في جهات عدة من المشرق (محكمة التمييز) أو (محكمة النقض والإبرام) كما في مصر .

٢ — (المحكمة الزجرية) وهي تقابل في الفرنسية Le Tribumal Correctionnel .

٣ — (سابقية الإضمار) من الألفاظ الاصطلاحية في القضاء التونسي ويقابله (سبق الإصرار) في اللغة القضائية في المشرق العربي .

٤ — (تهمة التمعش بالخنا) ويراد بالتمعش الاحتراف أي العيش بالخنا . وفي صوغ هذا المصدر توهم بأصالة الميم مع حذف الباء ، وقد جاءت الميم من المصدر (معيشة) ، ولا نعرف لهذا التوهم وجهاً ، ولم يستعمل إلا في هذه القرارات القضائية التونسية ، والعربية في غنى عن الوقوع في هذا الدرك .

٥ — (التدليس) وهذا من الألفاظ التي ترد في الأحكام التونسية كأن يقال : (حكم على فلان بجريمة (التدليس) في الشهادة ، أو (التدليس) في الحساب مثلاً . والمراد بالتدليس هنا (التزوير) الذي يشيع في اللغة القضائية في المشرق ، واستعمال التدليس فصيح قديم في هذا الباب ، والذي نعرفه ان من كتب ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ رسالة في (طبقات المدلسين المسمى تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس) .

٦ — ويقولون مثلاً : (تركبت الهيأة العليا للمحكمة من ستة أعضاء) واستخدام التركيب في هذه الجملة غريب لم نألفه نحن المشارقة ذلك اننا نقول (تألفت الهيأة العليا) .

٧ — ومن هذه المادة ما نقرؤه في الصحف من الاعلانات ومن ذلك (يعلن السيد ... ان بتة كراء مخزنين على ملك أحد المعمرين ستتم يوم الجمعة ٢٠ فيفرى) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي هذه الفقرة نعرف ان (مناقصة) باصطلاحنا المشرقي لإيجار مخزنين ستنتهي في التاريخ المذكور ، ثم ان المخزنين (على ملك أحد المعمرين) أي ان المالك لهما أحد المعمرين ، والمعمرون هم الـ « Colons » في الفرنسية أي الفرنسيون الذين استوطنوا تونس فعمروا لأنفسهم المزارع الكبيرة والمتاجر الضخمة .

الأسلوب المترجم في اللغة التونسية :

تأثرت العربية التونسية الحديثة بالأساليب الفرنسية في التعبير . ولم تكن العربية التونسية بدعاً في هذا التأثر ، ذلك أن العربيـة الحديثة بصورة عامة قد اكتسبت شيئاً نتيجة هذا الأسلوب المترجم .

وهذه الترجمة تبدو بوضوح في لغة الخبر السياسي الذي نسمعه من المذياع ، وفي كثير من الأساليب الصحفية .

فإذا أصغيت إلى المذياع التونسي وحان وقت إذاعة الأخبار سمعت المذيع يقول : والآن تستمعون إلى الجريدة الناطقة ، ويريد بالجريدة الناطقة (نشرة الأخبار) ، والجريدة الناطقة نقل للتعبير الفرنسي Le Journal parlé .

ثم نسمع في هذه الأخبار ان (الجند الفرنسي قد اعتدى على التراب التونسي) ويراد (بالتراب) الأرض التونسية ، أي إن الاعتداء قد حدث في الأرض التونسية . واستعمال (التراب) مقابل للتعبير الفرنسي « Territoire » .

وفي هذه الأخبار أيضاً : (إن الرئيس قد قام بسعي لفائدة السلم في الجزائر) واستعمالهم (لفائدة السلم) يريدون به (من أجل السلم) . ومجيء الفائدة جاء في ترجمة للفرنسية « au Profit » .

ثم نسمع المذيع يقول : (اتصل الرئيس ببرقيـات من طرف تعاضديات الفلاحين والصناعية ...) . واستعمال الفعل (اتصل) على هذا النحو شائع في اللغة التونسية ، وربما كان نتيجة لترجمة عن الفرنسية . ثم ان استعمالهم (من طرف)

ويريدون به (من لدن) أو (من قبل) كان أيضاً نقلاً للتعبير الفرنسي « De la part » .

و (التعاضدية) استعمال تونسي مقابل لـ « Coopérative » وهي (التعاونية) في اصطلاحنا . أما الصنائعية فهي جمع يريدون به الصُنّاع وهذا الجمع لم نسمعه في غير تونس من أقطار العربية .

ثم تسمع أيضاً أن (الوزير قد قابل طائفة من الإطارات الحزبية) ، فتستغرب كلمة (الإطارات) وتراها جديدة على سمعك ، ولم تدر أنها ترجمة للتعبير الفرنسي « Cadres » ، ولفظة « Cadre » تعني الإطار في معناه الحسي وهو الأداة المعروفة ، ولكن الفرنسيين يتوسعون في دلالته فينقلونه مجازاً إلى معنى آخر ، ويريدون به الأفراد المتعلمين الفنيين الذين يؤلفون العناصر الضرورية في التنظيمات الاجتماعية بصورة عامة . وهكذا فإن التونسي ينقل اللفظة الفرنسية فيجد اللفظة المقابلة لها في العربية في معناها الحسي ، ولا يكتفي بذلك فيتوسع في هذه العربية على طريقة المجاز كما توسع الفرنسيون في لفظتهم . وهذا شيء لا تسيغه العربية كثيراً فلكل أمة مجازاتها وطرقها الخاصة في التعبير [1].

ومن هذا الأسلوب المترجم جاء في العربية قولهم (كونغولي) و (طوغولي) في النسبة إلى (الكونغو) وإلى (الطوغو) من الأقطار الافريقية . واللام في هاتين النسبتين ليست جارية على قواعد النسب العربية فهي زائدة ، وهي غريبة ، وهي من الفرنسية . ومثل هذه النسبة استعمالهم (الكترونيكية) في قولهم :

---

(١) تستعمل كلمة Cadre الفرنسية بمعنى « إطار » في بعض الآلات والأدوات ، وتستعمل بمعنى « ملاك » في الحكومة والجيش . فيقال مثلاً ملاك الضباط ، وملاك المدرّبين ، وملاك المحترفين ، والملاك الدائم الخ . أما في بعض الآلات والأدوات فيقال مثلاً . إطار التوجيه ، وإطار المروحة ، والإطار الحامل الخ . وفي المعجم العسكري ٢٧ مصطلحاً لأشكال الكادر . وفي مصر يعربون الفرنسية . (لجنة المجلة)

(آلات الكترونيكية) فالكاف الثانية في الكلمة من الفرنسية « Electronic » والصحيح أن تكون الكلمة في العربية من دون الكاف الأخيرة التي يجيء بها في الفرنسية للوصف الذي هو مثل النسب في افادته للوصفية فيقال (آلات الكترونية) .

ومن هذا الأسلوب المترجم استعمالهم للظرف (أين) في غير الاستفهام فيقولون مثلاً : (سيقام الاحتفال في بطحاء الحكومة أين يخطب الرئيس) ، والصحيح أن يستعمل الظرف (حيث) ، ولكنهم تأثروا بالظرف المستعمل في الفرنسية في مثل هذه الحال وهو « où » .

ما يتعلق بالزراعة والنبات من الألفاظ :

تلح في هذا المجال مادة لغوية خاصة جديرة بالتسجيل والنظر ، ذلك أن تونس بلد زراعي يعتمد على الزراعة الاعتماد الكلي .

ومن هذه المادة اللغوية ما يتعلق بالأرض المزروعة ، فالأرض الكبيرة المعدة للزرع يسمونها (هنشير) . ولا نعرف في مواد العربية شيئاً من هذا ، وربما كانت هذه الكلمة من المخلفات اللغوية القديمة ، فقد حفل التاريخ التونسي بلغات عدة كالرومانية والفينيقية واللهجات البربرية ، وقد حدثني العالم الجليل السيد حسن حسني عبد الوهاب أن الكلمة كانت تطلق على المواقع التي هي مظان للعاديات والنفائس العتيقة ثم استعملت الاستعمال الأخير الشائع .

ويسمون الأرض المعدة للزرع والتي تسقى من بئر تنصب عليها واسطة لايصال الماء (السانية) وهذه الكلمة ذات أصل فصيح ، فالسانية في معجمات اللغة الغرب وأداته ، والسانية الناضحة وهي الناقة التي يُستقى عليها . وفي المثل : سير السواني سفر لا ينقطع . وعن الليث : السانية وجمعها السواني ما يسقى عليه الزرع والحيوان من بعير وغيره . وقد سنت السانية تسنو سنواً إذا استقت . وها نحن نرى أن السانية الغرب وأداته ثم

توسع فيها في فصيح العربية فصارت تطلق على الحيوان الذي يستقى به ، ثم توسع التونسيون فيها فصاروا يطلقونها على الأرض التي تروى بهذه الطريقة .

ومن هذه لفظة « الكرد » في العراق وهي مادة غير عربية ومعناها الأداة التي تنصب على بئر أو على حفرة يجتمع فيها الماء الذي مصدره النهر ثم يستعان بالحيوان على ادارة عجلة هذه الأداة فيؤتى بالماء في أوعية مربوطة بالعجلة . اقول توسع في مدلول هذه الكلمة فاطلق (الكرد) و (الكرود) بصيغة الجمع على الأرض التي تسقى بهذه الطريقة ثم صار المشتغلون بهذه الأرض (كرّادة) على صيغة المبالغة (١) .

ويزرع التونسيون (الزيتون) وقد اشتهرت تونس بزيتونها منذ أقدم العصور . وفي تونس من أصول الزيتون ما يرجع إلى عدة قرون ، وهم يسمون ما يظهر منه من دون أن يتعهده الإنسان بالزرع (الجالي) . والمادة عربية فصيحة ولكننا لا نعرف هذا الاستعمال في مدلولات الكلمة الفصيحة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويسمون حاصل الزيتون (الصابة) وربما كانت مما يصيبه الفلاح من هذا الثمر المبارك .

واشتهرت تونس في كونها تنتج الفواكه الحمضية كالليمون والبرتقال وغيره . وهذه الثمار تدعى (الحوامض) في الديار الشامية والعراقية ، ويدعوها المصريون (الموالح) ، أما التونسيون فيسمونها (القوارص) وهي المصطلح العلمي والتجاري عندهم ، على أن لفظ (القارص) يطلقونه على الليمون الحامض « Citron » دون غيره ، أما الليمون الحلو فيسمونه (الليم) .

(١) الكُرْد في كتب اللغة الدَّبْرة أي المزرعة الصغيرة أو جزء من المزرعة ، والجمع كُرُود . وللدبرة معنى آخر وهو الساقية بين المزارع . أما الساقية فهي تطلق حديثاً على الناعورة التي تديرها الدواب أو المحركات . وهي غير الناعورة التي تدور بقوة جريان الماء . (لجنة المجلة)

ومن فاكهتهم (العُوَينة) لما يدعى بالفرنسية « Prunnes » .

على أن التونسيين قلما يستعملون لفظ (الفاكهة) أو (الفواكه) وإنما يعدلون عنها إلى (الغَلّة) أو (الغلال) بصيغة الجمع ، فإذا قيل عصير الغلال فالمراد به عصير الفاكهة . وانصراف (الغَلّة) إلى هذا المعنى استعمال تونسي وتخصيص للكلمة بشيء دون غيره . وحقيقة (الغلة) في كتب اللغة : الدخل الذي يحصل من الزرع والثمر واللبن والإجارة والنتاج ونحو ذلك ، وجمعها (غَلات) ، وفلان يُغِلّ على عياله أي يأتيهم بالغَلّة)(١).

ومن الملاحظ أن (الفاكهة) عندهم قد تنصرف إلى ما يجفف من أصناف الفاكهة . ومن أسماء (التين) عندهم (الكرموس) و (الشريحة) ولا نعرف لذلك وجهاً (٢) .

ومن أصناف الفاكهة ما يدعونه (بوصاع) لما يسميه الشاميون (ابكي‌دنيا) و (يني دنيا)(٣) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما الخضراوات « Legumes » ففيها شيء آخر خاص بهم ومن ذلك :

القَنّارية لما يدعى بالفرنسية Artichaut ، ولم يثبت P. J. Belot هذه الكلمة في معجمه الصغير الفرنسي العربي واكتفى بذكر (شوكي أو أرضي) ولا أدري من أين جاء بهذين الاسمين ولعله أخذهما مما هو مستعمل في لبنان ، وقد فاته أن الخفاجي في (شفاء الغليل) قد ذكره وعده من الدخيل ولم ينص على أصله الذي جاء منه . قال الشهاب الخفاجي : القنّارية هو بالمغرب نوع

(١) اللسان مادة « غلل » .

(٢) شريحة التين في الشام مشهورة وهي من مصنوعاته اللذيذة (لجنة المجلة)

(٣) ويسمى بشملة في مصر . وهو زعرور اليابان Néflier du Japon ، وليس له اسم عربي قديم . (لجنة المجلة)

من الخس ومنه نوع يسمى (الخرشف) وخس الكلب والكنكر قال ابن المعتز :

وقد بدت فيها ثمار الكنكر كأنها جماجم من عنبر[١]

على أن التونسيين لا يلفظونها بالقاف بل بالكاف الشديدة على نحو ما ينطق المصريون بالجيم[٢] .

ومن خضراواتهم (السِفِنّارية) ويريدون بها الجزر .

ومنها (الجلبانة) بكسر الجيم ، وهي ما ندعوه (بالبزاليا) أو ما يدعى بالفرنسية « Petit - pois »[٣].

والكلمة ذات أصل فصيح وإن تغيرت صورتها فالجُلُبان بضم الجيم واللام مع مع تشديد اللام نوع من القطاني . قال أبو حنيفة : لم أسمعه من الأعراب إلا بالتشديد ، وما أكثر من يخففه . قال : ولعل التخفيف لغة[٤] .

ويسمون القثاء أو الخيار (فقوسا) و (الفقوس) من أسمائهم المحلية الشائعة في كثير من أقاليم الشمال الإفريقي[٥] .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) الخفاجي ، شفاء الغليل (نشرة محمد عبد المنعم خفاجي) ص ٢٢١ .

(٢) الكَنْكَر من الفارسية وردت في مفردات ابن البيطار وغيرها . وقنّارية من كنارة اليونانية . ومدلولها الفرنسي Artichaut من حَرْشَف العربية وهي اسم هذه البقلة . وفي معجم الألفاظ الزراعية تفصيل ذلك . (لجنة المجلة)

(٣) ما تسميه العامة « البزاليا » هو البِسِلّة والبِسِلّى Petit – Pois . أما الجلبان فهو بالفرنسية Gesse . وفي معجم الألفاظ الزراعية أوجه الحافظ بكلمة جلبان . (لجنة المجلة)

(٤) اللسان مادة « جلب » .

(٥) الفقوس في القاموس المحيط البطيخ الشامي أي ما يسمى اليوم البطيخ الأخضر في الشام Pastèque . أما في الاستعمال الحديث فالفقوس ضرب من القثاء . وفي مادة Concombre chaté ou d'Égypte من معجم الألفاظ الزراعية تفصيلات بصدد هذه الكلمة وأشباهها . (لجنة المجلة)

أما (البامية) المعروفة في المشرق فلها اسم غريب عند التونسيين لا يعرفون غيره ، هو (القناوية) بتشديد النون .

ويطلق التونسيون على بعض (الحيوان) أسماء لم أهتد إلى أصولها اللغوية ، فالخروف الصغير يدعونه (علوش) بتشديد اللام وهم ينطقون بالواو كما ينطق الحرف اللاتيني (O) .

ومن ذلك (العتروس) للعنز ، (والسردوك) للديك ، و (الحلوف) للخنزير .

الدكتور ابراهيم السامرائي
بغداد — كلية الآداب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في مفاهيم الحضارة

تزخر حياتنا الحاضرة ، القومية والإنسانية ، بمختلف المشكلات . فثمة التحرر السياسي ، وتنظيم الدولة ، وتنسيق الجهود الاقتصادية ، وارساء قواعد العدالة الاجتماعية ، وثمة ـ على المستوى الإنساني ـ مشكلات السلام العالمي وتطور البلاد المتخلفة وتوجيه نتائج العلم المتوافرة إلى خير الإنسان ورفاهه وما إلى هذا كله من قضايا تثير تفكيرنا وتبعث قلقنا وتتمثل بتبدلات سريعة وتغيرات عنيفة تطغى علينا من كل جانب وتؤثر في كل ناحية من نواحي حياتنا .

على ان في صميم هـذه المشكلات جميعاً ـ سواء على المستوى القومي والإنساني ـ مشكلة أساسية ، هي المشكلة الحضارية . أو بعبارة أخرى ان كلا من القضايا التي ذكرناها لا تفهم على حقيقتها ولا تعالج معالجة صحيحة إلا إذا نظر اليها في نطاقها الحضاري . ذلك ان الوضع الحضاري لأي مجتمع من المجتمعات هو الوضع الذي تلتقي به وتبين على ضوئه شتى أوضاع المجتمع الأخرى . نتحدث اليوم مثلاً عن الاستعمار و كثيراً ما نقف عنده ، ولكن الاستعمار لا يقفه في جوهره إلا كمظهر من مظاهر حضارة الدول المستعمِرة وحضارة الدول المستعمَرة . فلولا ان الأولى هي في وضع حضاري معين يشمل اقتصادها وسياستها وعلمها ونظرتها للانسان ، ولولا ان الأخرى لها أيضاً وضعها الحضاري الذي تختلف به عن الأولى والذي مكن هذه من أن تتسلط عليها لما كان ثمة تحكم واستغلال واستعمار . ومثل ذلك ، السعي الحثيث إلى التنمية الاقتصادية الذي يشغل بال العديد من شعوب اليوم ويستدعي قسطاً بالغاً من مجهودها القومي . أليس هو في الواقع دليلاً على رغبة هذه الشعوب في الانتقال من وضع حضاري لم يعد يماشي الزمن إلى وضع أكثر ملاءمـة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وادعى إلى سلامة البقاء وعز الجانب ونفوذ الشأن ؟ كذلك يمكننا أن نبسط أمام أبصارنا كل ظاهر أو باطن من أحوال أي شعب من شعوب الأرض كشكل الحكم ، ومبلغ الانتاج المادي ، وحالة الصحة العامة ، ومدى انتشار العلم ، ونوع العقلية السائدة والعادات والأخلاق المتبعة ، فنجد ان هذه كلها وأمثالها ترتبط فيما بينها برابطة شاملة وتجتمع في كيان عام ، هو الكيان الحضاري لذلك الشعب ، الناتج من ارثه الماضي وجهده الحاضر ونوع استعداده للمستقبل ، والمتأثر بالكيانات الحضارية الأخرى المتصلة به المتفاعلة وإياه .

هذا يعني من معاني الحضارة . ولكن للحضارة معنى آخر : هو جماع القيم التي يسعى المجتمع الى تحقيقها والتي تتمثل في مختلف نشاطاته وانجازاته . فعندما نتكلم مثلاً عن الحضارة اليونانية أو الفينيقية أو العربية أو الهندية أو الغربية الحديثة فان ذهننا لينصرف الى انجازات كل منها في حقول الفكر والفن والدين والتطبيق العملي وسائر نواحي الابداع ، وبالتالي إلى القيم التي تنطوي عليها والتي تؤلف بمجموعها جوهر تلك الحضارة ولب نتاجها وخلاصة اسهامها في التقدم البشري .

ينطبق هذا على الحاضر ، كما ينطبق على الماضي . فنحن اذا ابتغينا أن ندرك حياتنا الراهنة ادراكاً صحيحاً وجب علينا ان ننفذ من خلال مظاهرها المتباينة وتبدلاتها المتلاحقة إلى القيم التي تتضمنها : أي وجب علينا أن نسعى الى تفهمها بمدلولها الحضاري الصحيح . وعندها نجابه سائر مشكلاتنا في أعمق مستوياتها وفي أدق معانيها وأشملها . وعندها أيضا يؤدي حسن تفهمنا وصدق مجابهتنا الى سلامة العمل وجزالة الانتاج ، فنأمن المزالق والأخطار ، ونسير على هدي الفكر النيّر في السبل القومية : انتاجاً وتنمية وابداعاً وفعلاً حضارياً .

فانطلاقا من هذه الحقيقة الأساسية : من كون الحضارة والمعاني الحضارية هي اللب والجوهر في كل شأن من شؤوننا أو مسعى من مساعينا ، يتوجب علينا أن نمعن النظر في ماهية هذه الظاهرة الإنسانية ، وأن نحاول

جـلاء المفاهيم الأساسية التي تنطوي عليها ، توصلا لاستكناه حقيقتها واستخلاص جوهرها .

★ ★ ★

فماذا يقصد بهذه اللفظة ـ الحضارة ـ وما هي المعاني التي تحملها ؟

إذا استنطقنا اللغة وجدنا أن الحضارة (بفتح الحاء أو كسرها) تعني في العربية الإقامة في الحضر أي في المدن والقرى ، بخلاف البداوة وهي الإقامة المتنقلة في البوادي . جاء في القاموس : « الحضارة ويفتح خـلاف البادية والحضارة الإقامة في الحضر » . وفي لسان العرب : « والحضر خلاف البدو والحاضر خلاف البادي والحضارة الإقامة في الحضر عن أبي زيد وكان الأصمعي يقول الحضارة بالفتح » . فأصل المعنى اذن هو الاستقرار . والاستقرار الذي يبدأ عادة بزراعة الأرض هو الذي يفسح لأبناء المجتمعات مجالات التطور ، فاذا ولجوها تقدموا في فنون اكتساب العيش ، وفي بناء المدن ، وفي تحصيل المعرفة ، وفي الانتظام الداخلي والتعامل الخارجي ، وكان لهم حظهم من الرفاه ومن الابداع ، ومن الحضارة بوجه عام . وهذا التمييز بين البداوة والحضارة مربتق عندنا ، نجده واضحاً مردداً في ما وصلنا من أدب وتأريخ ونظم وعادات وما اليها من عناصر تراثنا : ذلك ان التفاعل بين هذين النمطين من الحياة كان عاملاً من أهم عوامل ماضينا ، سواء في السياسة وفي الاجتماع وفي الأدب وفي العقلية العامة ، ولا يزال قائماً في مناطق واسعة من مجتمعنا ، وله آثاره ورواسبه في مختلف نواحي حياتنا .

كل هذا يعفينا من مهمة استقصاء المعاني التي تدل عليها هـذه الكلمة في تراثنا العربي . ولكن لا بد لنا من أن نقف وقفة ، ولو قصيرة ، عند المؤرخ والفيلسوف الاجتماعي عبد الرحمن ابن خلدون لأنه أبرز من تصدى لهذا الموضوع في اللغة العربية ، بل أول من عالج شؤون الحضارة بصورة منتظمة في أية

لغة من اللغات فاستحق أن يعتبر مؤسس علم الحضارات ، أو ، كما دعاه هو ، علم « العمران البشري والاجتماع الانساني »(١) .

الحضارة عند ابن خلدون هي طور طبيعي أو جيل من أجيال طبيعية(٢) في حياة المجتمعات المختلفة . وهكذا البداوة . ولكن البداوة أقدم ، والبدو أصل الحضر(٣) ، و « الحضارة غاية البداوة »(٤) . ذلك ان نحلة البدو من المعاش تقتصر على الضروري منه فيكون « حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والسكن والدفء انما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة ويحصّل بلغة العيش من غير مزيد عليه للعجز عما وراء ذلك »(٥) . فاذا أتيح لهم أن يتطوروا انتقلوا إلى أحوال جديدة ، فتكونت « أجيال الحضر » . ولا بأس من أن نورد هنا نص ابن خلدون في معايش هـذه الأجيال وصفاتها ايضاحاً لمدلولات الحضارة عنده وفي التراث العربي على العموم يقول ابن خلدون : « ثم إذا اتسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه دعاهم ذلك إلى السكون والدعة وتعاونوا في الزائد على الضرورة واستكثروا من الأقوات والملابس والتأنق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمصار للتحضر ثم تزيد أحوال الرفه والدعة فتجيء عوائد الترف البالغة مبالغها في التأنق في علاج القوت واستجادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في أنواعها من الحرير والديباج وغير ذلك ومعالاة البيوت والصروح وإحكام وضعها في تنجيدها والانتهاء في الصنائع في الخروج من القوة إلى الفعل إلى غايتها فيتخذون القصور والمنازل ويجرون فيها المياه ويعالون في صرحها ويبالغون في تنجيدها ويختلفون في استجادة ما يتخذونه

(١) المقدمة (المطبعة الأدبية ، بيروت ، ١٩٠٠) ، ص ٣٨ .
(٢) المصدر ذاته ، ص ١٢٠ .
(٣) المصدر ذاته ، ص ١٢٢ و ٤١ .
(٤) المصدر ذاته ، ص ٣٧١ .
(٥) المصدر ذاته ، ص ١٢٠ .

لمعاشهم من ملبوس أو فراش أو آنية أو ماعون وهؤلاء هم الحضر ومعناه الحاضرون أهل الأمصار والبلدان ومن هؤلاء من ينتحل في معاشه الصنائع ومنهم من ينتحل التجارة وتكون مكاسبهم أنمى وأرفه من أهل البدو لأن أحوالهم زائدة على الضروري ومعاشهم على نسبة وجدهم »(١).

ولا بد من القول ان هذا الوصف لا يحيط بمفهوم الحضارة عند ابن خلدون احاطة تامة ، لأنه يهمل ذكر المعارف والعلوم التي يخصها عالمنا بفصل كبير هو أحد الفصول الستة التي تتألف منها مقدمته بكاملها وأحد الفصول الثلاثة الأخيرة المتعلقة بالعمران الحضري(٢). على ان العنصر الأساسي في الحضارة عند ابن خلدون هو انشاء المدن وبناء البلدان ، ولذلك كان موضوع الفصل الرابع من مقدمته « في العمران الحضري والبلدان والأمصار » . وعنـد ابن خلدون أيضاً ان القوم إذ يسلكون سبل هذا العمران ويوغلون في الصنائع وفي فنون التأنق وفي مظاهر الحضارة المختلفة يتعرضون حتماً للخراب ، لأن الحضارة تحمل في ثناياها بذور الفساد . ان الحضارة سبيل طبيعي وغاية للبداوة ، ولكنها آخر أعمال العمران ، إذ « كما ان للشخص الواحد من أشخاص المكونات عمراً محسوساً وتبين في المعقول والمنقول ان الأربعين للانسان غاية في تزايد قواه ونموها وانه إذا بلغ الأربعين وقفت الطبيعة عن أثر النشوء والنمو برهة ثم تأخذ بعد ذلك بالانحطاط فلتعلم ان الحضارة في العمران أيضاً كذلك لأنه غاية لا مزيد وراءها وذلك ان الترف والنعمة إذا حصلا لأهل العمران دعاهم بطبعه إلى مذاهب الحضارة والتخلق بعوائدها »(٣).

وبعد أن يشرح ابن خلدون المفاسد التي تتضمنها هذه المذاهب والعوائد يقول : « وإذا كثر ذلك في المدينة أو الأمة تأذن الله بخرابها وانقراضها ... فاعلم ذلك

---

(١) المصدر ذاته ، ص ١٢٠ ــ ١٢١ .

(٢) الفصل السادس « في العلوم واكتسابها وتعلمها » راجع تعداد هذه الفصول في المصدر ذاته ، ص ٤١ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ٣٧١ ــ ٣٧٢ .

واعتبر به ان غاية العمران هي الحضارة والترف وانه إذا بلغ غايته انقلب إلى الفساد وأخذ في الهرم كالأعمار الطبيعية للحيوانات »[١] وعندها يغدو هذا الجيل المتداعي فريسة سهلة لجيل أقوى وأقدر على الغلبة ، لجيل بدوي « أقرب إلى الخير »[٢] و « ... إلى الشجاعة »[٣] وملتحم بالعصبية[٤] وبعقيدة دينية[٥] ، فيسير في طريق الملك فالحضارة وينتهي كما انتهى الجيل السابق ، وهكذا دواليك .

وموجز القول هو ان مفهوم الحضارة عند العرب عموماً كان يدور على ذلك النمط من الحياة المناقض للبداوة[٦] ، المنشىء المدن والأمصار ، المستقر فيها ، المتصف بفنون منتظمة من الملك والإدارة ، ومن مكاسب العيش ، ومن الصنائع والعلوم ، ومن وسائل الدعة والرفاه . وقد جاء ابن خلدون في محاولته استكشاف « طبائع العمران » ، أي قوانين تطور المجتمعات ، فجعل البداوة والحضارة طورين طبيعيين من أطوار المجتمعات البشرية ، واعتبر الحضارة آخر هذه الأطوار و « غاية العمران » . ويمكننا فهم الغاية هنا بمعنيين : من حيث انها تمثل خير نتاج المجتمع في الصنائع والفنون والعلوم ومظاهر الدعة والترف ، ومن حيث انها المرحلة الأخيرة للعمران « ونهاية لعمره .. ومؤذنة بفساده »[٧] .

وفي العربية الحديثة كلمة مرادفة للحضارة هي « المدنية » وهي مرادفة لـ

(١) المصدر ذاته ، ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤ .
(٢) المصدر ذاته ، ص ١٢٣ .
(٣) المصدر ذاته ، ص ١٢٥ .
(٤) المصدر ذاته ، ص ١٢٧ ـ ١٢٨ و ص ١٧٢ .
(٥) المصدر ذاته ، ص ١٥١ .
(٦) لاحظ ما يتردد في المعاجم في تعريف الحضر والحضارة بأنها « خلاف » البدو والبداوة .
(٧) المصدر ذاته ، ص ٣٧١ (عنوان الفصل الثامن عشر) .

ترد في المعاجم ، والأرجح انها مستمدة من الكلمة الفرنجية Civilisation[(١)].

وقد استعمل الفلاسفة العرب لفظة « مدني » بمعنى « اجتماعي » ، أخذاً عن اليونان الذين كانت المدينة عندهم مظهر الاجتماع المنتظم المتحضر . وفي هذا يقول ابن خلدون : « ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم الإنسان مدني بالطبع أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم وهو معنى العمران»[(٢)].

واستعمل ابن خلدون صيغة « التمدن » بمعنى الحضارة أو التحضر فقال : « ولهذا نجد التمدن غاية للبدوي يجري اليها »[(٣)]. وهــذه الصيغة كصيغة « المدنية » لم ترد في المعاجم ، ولكنها انتشرت مثل هذه حديثاً ، وان كان بعضهم يؤثر عليها « التديُّن » المشتقة من « تمدن » القاموسية بمعنى « تنعم » .

ومهما يكن من أمر ، فالواضح ان المعنى الأصلي الذي تنطوي عليه لفظتا الحضارة والمدنية ، انما هو سكنى الحواضر أو المدن ، وما ينشأ عن هذه السكنى أو يصحبها من فنون الحياة ومظاهرها . وواضح كذلك ان الاستعمال العربي الحديث لا يميز بين هاتين اللفظتين ، ولا يخص احداهما بمعنى دون الآخر ، بل يطلقها مترادفتين دون تمييز أو تخصيص .

★ ★ ★

وإذا انتقلنا من العربية إلى اللغات الغربية ، وجدنا ثمة لفظتين رئيسيتين تستعملان للدلالة على معنى الحضارة : Culture و Civilisation . ولكل منهما تاريخ طويل متشعب وألوان مختلفة من الدلالة لا مجال لاستعراضها

---

(١) عرّف المعجم الوسيط الذي أصدره مجمع اللغة العربية « المدنية » بانها : « الحضارة واتساع العمران » ، ولم يشر إلى ان اللفظة مولدة ، كما فعل في لفظة « تمدّن » التي عرّفها بـ « عاش عيشة أهل المدن وتنعم وأخذ بأسباب الحضارة » .

(٢) المقدمة ، ص ٤١ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ١٢٢

هنا ،[١] بل حسبنا أن نشير إلى ما يهمنا في سبيل تحديد المفهوم أو المفاهيم التي نريد استخراجها .

ان كلمة Culture مأخوذة عن اللاتينية (Cultura من فعل Colere بمعنى حرث أو نمّى) . وقد كانت دلالة الأصل اللاتيني في العصور القديمة والوسطى مقصورة على تنمية الأرض ومحصولاتها ـ تلك الدلالة التي نجـدها في « Agriculture » و « Horticulture » وأمثالها . ومع أن شيشرون استعملها بالمعنى المجازي داعياً الفلسفة Cultura Mentis أي فلاحة العقـل أو تنميته ، فان هذا المعنى ظل نادراً في اللغة اللاتينية . وفي أوائل العصور الحديثة بدأت تستعمل في الانكليزية والفرنسية بمدلولها المادي والعقلي ، مع اضافة الشيء المقصود تنميته (La culture du blé, la culture des arts ، ومثلها في الانكليزية ( ) . فلما كان القرن الثامن عشر أخذ الكتاب الفرنسيون ، كفولتير وأقرانه ، يطلقون هذه اللفظة [illegible] وبدون أداة تعريف أو اضافة إلى شيء معين ، وغدت Culture بهـذا المعنى المطلق تدل على تنمية العقل والذوق ، ثم انتقلت إلى حصيلة هذه العملية ، أي إلى المكاسب العقلية والأدبية

---

(١) من أراد متابعة تطور معاني هاتين اللفظتين والوقوف على تعاريفهما المختلفة يمكنه مراجعة الدراسة الدقيقة المفصلة :

Kroeber A. L. Kluckhohn., Clyde Culture, A Critical Review of Concepts and Definitiog. Papers of the Peabody Museum of American Archaelogy and Ethnology, Harvard University, Vol. XLVII - No. 1, Cambridge, Mass . . 1952 .

ففيها تتبع تأريخي واف وتحليل دقيق منظم ، مستمدان من عديد الدراسات العامة والخاصة ، في سبيل تحديد مختلف المفاهيم التي تعبر عنها هاتان اللفظتان وتمييزها وتنسيقها . وهي مرجعنا في عرضنا الموجز لتطور معاني هاتين اللفظتين .

والذوقية التي نعبر عنها بالعربية بلفظة الثقافة.(١) أما في الانكليزية ، فان أول نص تستعمل فيه هذه الكلمة بما يشبه هذا المعنى يعود ، حسب معجم اكسفورد ، إلى عام ١٨٠٥ . ولا يزال هذا المعنى هو أحد معانيها السائدة في اللغات الغربية .

وقد انتقلت هذه اللفظة إلى الألمانية من الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر بشكل Cultur ثم Kultur ، وانتقل معها معناها الأخير أي الإنماء العقلي والأدبي وحصيلة هذا الإنماء . ثم أخذ معناها يتطور عند الفلاسفة وعلماء الاجتماع والمؤرخين ، ويتخلى عن دلالات الإنماء والتهذيب الفردي ، ويتحول إلى أحوال الأقوام بمجموعها . وبرز هذا المعنى الأخير في أواسط القرن التاسع عشر عند المؤرخ والعالم الاجتماعي الألماني Gustav Klemm الذي يعتبر مؤسس علم الأنثروبولوجيا الحديث . وبدأت هذه اللفظة تطلق على مجموع عناصر الحياة وأشكالها ومظاهرها في مجتمع من المجتمعات . ومن هنا وصل المعنى الاصطلاحي الذي تحتويه كلمة Culture اليوم عند علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا . فقد انتقل هذا المعنى من Klemm إلى العالم الأنثروبولوجي الانكليزي E.B.Tylor الذي كان أول من استعمله باللغة الانكليزية وثبته في عنوان كتابه الشهير Primitive Culture عام ١٨٧١ ومنه تسرب إلى الأوساط العلمية الأنكلوسكسونية . ثم انتشر بصفة خاصة في الولايات المتحدة الأميركية حيث نشط علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا نشاطاً ملحوظاً في العقود الأخيرة .

وقد غدا هذا المعنى الاصطلاحي مفهوماً أساسياً ، ان لم نقل المفهوم الأساسي ، في هذين العلمين في ألمانيا وأميركا ، ولكنه لم يصادف مثل هذا

(١) على ان اطلاق هذه اللفظة على عملية انماء الأشياء المادية لم ينقطع كل الانقطاع ، وها هو يعود فيشيع الآن بنمو العلوم الطبية والتطبيقات الصناعية ، كما تدل على ذلك تعابير « Blood culture » و « Germ culture » و « Pearl culture » وأمثالها .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرواج في انكلترا وفرنسا . ومهما يكن من أمر ، فإنه لم يرتكز بعد ارتكازه الأخير ، ولم ينفِ عن كلمة Culture معانيها السابقة ، فلا تزال تستعمل في الفرنسية والانكليزية ولغات أخرى بمعنى الثقافة الفردية ، والثقافة بوجه عام ، بل عاد اليها في العلوم الطبية والتطبيقات الصناعية ، كما ذكرنا ، معناها الأصلي أي عملية انماء الأشياء المادية كالجراثيم واللآلىء بـ « الزرع » والتصنيع.

أما كلمة Civilisation الفرنسية أو Civilization الانكليزية فمشتقة كذلك من اللاتينية Civis أي المدني أو المواطن في المدينة . ثم أخذت تستعمل مجازاً ، وعنت في بادىء الأمر ، شأن مرادفها Culture ، عملية اكتساب الصفات المحمودة ، وبخاصة الألطاف الفردية والاجتماعية . وكانت ترد في الأغلب بصيغة الفعل Civiliser, Civilize لا بصيغة المصدر ، دلالة على العملية ذاتها لا على النتيجة الحاصلة منها . ثم تطورت لتعبر عن هذه النتيجة — أي عن حالة الرقي والتقدم في الأفراد وفي المجتمعات . وكان استعمالها بهذا المعنى أقدم في الفرنسية منه في الانكليزية ، إذ تجرأ Boswell صاحب اللغوي الإنكليزي Samuel Johnson وكاتب سيرته أن هذا الأخير رفض ادخال هذه الكلمة Civilization في معجمه عام ١٧٧٣ وآثر عليها لفظة Civility .

وما لبثت هذه الكلمة ان انتشرت في الانكليزية والفرنسية على السواء ، ولكنها لم تجد مثل هذا الانتشار في الألمانية . وتستعمل اليوم في اللغات الغربية في الأغلب بمعنى الحضارة ، أو الكيان الحضاري(١) . ولئن حاول بعض الكتاب تحويلها ، كما فعلوا بقرينتها Culture إلى معنى انتروبولوجي صرف أي للدلالة على حياة المجتمع بكاملها ، سواء أكان هذا المجتمع راقياً أم غير راقٍ ، فقالوا مثلاً Primitive Civilization (حضارة بدائية) ، فان المعنى الأول — أي المجتمعات المتصفة بالتقدم والرقي (أو التحضر) — يظل هو الشائع

(١) وبهذا المعنى الثاني يستعملها توينبي في تحليله للتاريخ البشري ، فيجعل « Civilization » بمعنى الكيان الحضاري الوحدة الصحيحة في الدراسة التاريخية .

ويجرنا هذا الاستعراض التأريخي السريع إلى القول اننـا لا نجد لهاتين الكلمتين في اللغات العربية الحديثة تحديدات مستقرة ولا نلقى تمييزاً واضحاً بينهما مقبولاً بوجه عام[١] . وقد بدت اتجاهات للتمييز ، فجرى بعض الكتاب ، وبخاصة في الألمانية ، على اطلاق Culture على المظاهر المادية للحضارة (كالتكنولوجيا والصناعة وأمثالها) و Civilization على المظاهر العقلية والأدبية ، ولكن هناك من ذهب إلى عكس هذا تماماً . وتدليلا على هذا التناقض يقول باحث أميركي ان النقدة الأوروبيين الذين يقرون بتقدم اميركا المادي ولكنهم يعتبرونها متأخرة في الميدان الثقافي يكادون ينقسمون قسمين متعادلين بين الذين يصفون أميركا بالتقدم في ما يدعونه Civilization والتخلف في ما يدعونه Culture وبين الذين يقولون العكس[٢] .

وثمة محاولات أخرى للتمييز ، ولكنها بدلاً من أن تضيق مجال الاضطراب وتثبت لكل من هاتين الكلمتين معنى خاصاً بها ، تزيد المعاني تنوعاً وتفرعاً وتوسع مدى الاضطراب . نضرب على هـذا مثلاً ما ذهب اليه شبنجلر في كتابه الشهير : « انحطاط الغرب » . فقد أطلق لفظة Culture بـ C كبيرة) على الحضارات الكبرى في التاريخ كالحضارة اليونانية والعربية والاوروبية الحديثة ، وخص Culture و Civilization بطورين مختلفين من الأطوار التي تمر بها كل حضارة . أما الأول (Culture) فهو طور الفتوة والازدهار والانتـاج الروحي ، وأما الثاني (Civilization) فطور الهرم والركود والانتاج المادي . وهذا الطور الأخير هو الذي يسبق انحلال الحضارة وزوالها . وفي هذا ما يذكرنا بابن خلدون ، الذي نجد له السوابق العديدة في هـذه الميادين ، عندما يعتبر « الحضارة » ، كما ذكرنا آنفاً[٣] غاية العمران ومبعث الفساد فالانهيار .

---

(١) ان معجم Webster المطول يعرّف كلاً من هاتين اللفظتين بالأخرى .

(٢) Deunes, William R., « Conceptions of Civilization » in Civilization, University of California Press (Berkeley and los Angeles, 1959), P. 149.

(٣) ص ٦ ــ ٧ أعلاه

ولعل أشد هذه المحاولات انتظاماً واستمراراً هي تلك التي يقوم بها علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا، وبخاصة في الولايات المتحدة الأميركية، لابراز معنام الاصطلاحي لـ Culture وتعميمه، وهو المعنى الذي يفيد جماع حياة أي مجتمع من المجتمعات ويشمل مختلف أشكال هـذه الحياة وفاعلياتها ومظاهرها، ولا يقتصر على المجتمعات المتحضرة كما يكاد يقتصر عندهم معنى Civilization. ولقد ذهب بعضهم إلى حد القول ان هذا المفهوم الاصطلاحي غدا حجر الأساس في العلوم الاجتماعية، وانه يكاد يحتل في هذه العلوم محل مفاهيم «الثقل» في العلوم الفيزيائية، و«المرض» في العـلوم الطبية، و«التطور» في علوم الأحياء[1]. على انه لا بد من توكيد ما ذكرناه آنفا، من أن هذا المفهوم لم يبلغ بعد ما يريد هؤلاء العلماء له من الضبط والتحديد ومن القبول والانتشار بين العلماء، بل بين جمهور المثقفين، إذ لاتزال للفظة Culture معانيها الأخرى المنتشرة، ولا تزال اضطراب الدلالات قائماً بينها وبين مرادفتها Civilization.

وهنا أيضاً لا بد لنا من العودة إلى ابن خلدون. فان له في هذه المحاولة العلمية سابقة بينة تأتلف مع سوابقه الأخرى لتبرز مكانته في علم الاجتماع وتجعلنا نعتبره بحق منشىء هذا العلم[2]. ان «العمران» عنده هو ما يقصده

---

(١) مقدمة كتاب Kroeber and Kulckhorn المذكور أعلاه، ص ٣.

(٢) وهذا يؤيد شعور ابن خلدون ذاته بسبقه وابتكاره، إذ يقول ان العلم الذي يباشره «مستحدث الصنعة» (المقدمة، ص ٣٨) و«كأنه مستنبط النشأة» (ص ٣٨) ويتابع «ونحن ألهمنا الله الى ذلك الهاماً واعثرنا على علم جعلنا بين نكرة وجهينة خبره. فان كنت قد استوفيت مسائله وميزت عن سائر الصنائع انظاره وانحاءه فتوفيق من الله وهداية وان فاتني شيء في احصائه واشتبهت بغيره فللناظر المحقق اصلاحه ولي الفضل لأني نهجت له السبيل وأوضحت له الطريق والله يهدي لنوره من يشاء» (ص ٤٠).

علماء الاجتماع والانثروبولوجيا اليوم بـ « Culture » ومفهومه مفهوم شامل يتناول الحياة الاجتماعية بكاملها ويضم مختلف أشكالها وألوانها. نستدل على هذا من نصوص عديدة، منها تعريفه العلم الذي يبحث في طبيعة العمران والذي يعتبره « حقيقة التأريخ » بأنه « خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ من الملك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال »[١]، وهذا العلم « ذو مسائل وهي بيان ما يلحقه (أي العمران البشري والاجتماع الانساني) من العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد أخرى »[٢]. والعمران على أنواع، بل الأحرى أن نقول انه يمر بأطوار، أهمها طوران: العمران البدوي[٣] والعمران الحضري. وهكذا فالعمران هو نمط الحياة بوجه عام، وبمعنى وصفي غير تقويمي، فيشمل أحوال الاجتماعات البدائية والمتحضرة على السواء ولا يقتصر على الثانية منها فحسب. وانطلاقاً من هذا المعنى يحدد ابن خلدون بحثه في مقدمته في ستة فصول: « الأول في العمران البشري على الجملة وأصنافه وقسطه من الارض، والثاني في العمران البدوي وذكر القبائل والأمم الوحشية، والثالث في الدول والخلافة والملك وذكر المراتب السلطانية، والرابع في العمران الحضري والبلدان والأمصار، والخامس في الصنائع والمعاش والكسب ووجوهه. والسادس في العلوم واكتسابها وتعلمها »[٤]

☆ ★ ★

(١) المصدر ذاته ص ٣٥ .

(٢) المصدر ذاته ص ٣٨ .

(٣) لاحظ هذا التعبير الذي يقابل « Nomadic culture » عند علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا المحدثين، ويشبه، من حيث انطباقه على مجتمعات غير متحضرة، قولهم « Primitive culture (s) » .

(٤) المقدمة ص ٤١ .

وخلاصة القول ان المفاهيم التي تعبر عنها لفظة « الحضارة » ومرادفاتها في اللغات الأجنبية لا تزال مترجرجة . ولكن ثمة تمييز بدأ يظهر في الدراسات الأجنبية بين المعنى التقليدي لهذه الألفاظ الذي يدلّ على انجازات محققة وقيم مكتسبة ، وبين معنى اصطلاحي أخذ يطلق على لفظة Culture (وأحياناً على Civilization) ، وهو الذي يتناول جماع حياة مجتمع من المجتمع ، بدائياً كان أو متقدماً راقياً ، وينصرف إلى الوصف والتعليل أكثر منه إلى التقويم والتفضيل .

على انه ، وان كان لهذا المعنى الاصطلاحي الجديد ما يبرره عند علماء الاجتماع والانتروبولوجيا ، فإن الذي يهمنا ، في موقفنا التأريخي الحاضر ، هو محاولة استجلاء جوهر « الحضارة » أي المقومات التي تقوم بها ، والانجازات والقيم التي تمثلها ، للاهتداء به في ما نتصرف اليه من فكر توجيهي ومن عمل تخطيطي انشائي . ذلك ان حقيقة « الحضارة » تبقى الحقيقـة الأساسية في التاريخ وفي الاجتماع القومي والاجتماع الإنساني ، وقضيتها قد غدت ـ بفعل عوامل عديدة لا مجال لبسطها هنا ـ القضية الأولى في هـذا العصر الحاسم الذي نعيشه .

قسطنطين زريق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قادة الفتح الاسلامي :

أبو عبيدة بن الجراح الفِهْري

فاتح أرض الشام[1]

« هذا أمين هذه الأمة »

محمد رسول الله

— ١ —

مع النبي :

أسلم أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي الفِهْري[2] قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم[3] ، فكان أحد العشرة السابقين إلى الإسلام[4] .

---

(١) أرض الشام : حدودها من الغرب بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) ومن الشرق البادية من أيلة إلى الفرات ثم من الفرات إلى حد الروم ، ومن الشمال بلاد الروم (الجمهورية التركية حالياً) ، ومن الجنوب حد مصر وتيه اسرائيل ، وآخر حدودها مما يلي مصر رَفَح . راجع التفاصيل في المسالك والممالك ــ للاصطخري ص (٤٣) ، ومعجم البلدان (٥/٢١٩) . وهي سورية ولبنان وفلسطين والأردن في الوقت الحاضر .

(٢) هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضَبَّة بن الحارث بن فهر . وأمه أميمة بنت غنم . راجع طبقات ابن سعد (٣/٤٠٩) ، والإصابة (٤/١١) ، وأسد الغابة (٣/٨٤) ، والاستيعاب (٣/٧٩٢) . وقد غلبت عليه كنيته . يلتقي نسبه بنسب رسول الله صلى الله عليه وسلم بـ (فهر) . راجع جوامع السيرة لابن حزم ص (٣) .

(٣) طبقات ابن سعد (٣/٤٠٩) ، و (٧/٣٨٤) .

(٤) الإصابة (٤/١١) ، وانظر تسلسل الذين أسلموا في سيرة ابن هشام (١/٢٦٤ ــ ٢٦٩) ، وفي جوامع السيرة لابن حزم ص (٤٥ ــ ٤٦) .

وهاجر أبو عبيدة إلى الحبشة الهجرة الثانية [١] تخلصاً من التعذيب والبلاء [٢]؛ ولكنه عاد إلى مكة بعد أن اتصل بمن كان في أرض الحبشة من المسلمين : ان قريشاً قد أسلمت ؛ وكان هذا الخبر كذباً [٣] .

ولما أذن رسول الله ﷺ بالهجرة إلى المدينة ، هاجر أبو عبيدة مع من هاجر من المسلمين إليها ، فآخى النبي ﷺ بينه وبين أحد أصحابه [٤] ؛ وهناك بدأ صفحة جديدة من كفاحه لاعلاء كلمة الله .

فقد شهد (بدراً) وقتل أباه الذي كان مشركاً في هذه المعركة [٥] ، إذ جعل والده يتصدى له وأبو عبيدة يحيد عنه ، فلما أكثر قصده وقتله [٦] ، فنزل فيه قول الله تعالى : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يوادون من حاد [٧] الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها

(١) طبقات ابن سعد (٣/٤١٠) ، وسيرة ابن هشام (١/٣٠٢) ، وجوامع السيرة ص (٦٣) ، والإصابة (٤/١١) .
(٢) سيرة ابن هشام (١/٣٤٣) ، وجوامع السيرة ص (٥٥) .
(٣) سيرة ابن هشام (١/٣٩١) ، وجوامع السيرة ص (٦٦) .
(٤) في سيرة ابن هشام (٢/١٢٤) أن النبي صلى الله عليه وسلم آخى بينه وبين سعد ابن معاذ وكذلك في جوامع السيرة ص (٩٦) . أما في طبقات ابن سعد (٣/٤١٠) ففيه : أنه آخى بينه وبين سالم مولى أبي حذيفة ، وفي رواية بينه وبين محمد بن مسلمة .
(٥) الإصابة (٤/١١) والسيرة الحلبية (٢/١٧٨)
(٦) الإصابة (٤/١١) .
(٧) حاد الله : حارب الله

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأنهار خالدين فيها ، رضي الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله ، ألا إنَّ حزب الله هم المفلحون)[١] .

وشهد (أحداً) وثبت مع رسول الله ﷺ حين انهزم الناس وولوا . قال أبو بكر الصديق : « لما كانت يوم أحد ورمي رسول الله ﷺ في وجهه حتى دخلت في أجنتيه حلقتان من المغفر[٢] ، فأقبلت أسعى إلى رسول الله ﷺ ، وإنسان قد أقبل من قِبَل المشرق يطير طيراناً ، فقلت : اللهم اجعله طاعة ، حتى توافينا إلى رسول الله ﷺ ، فإذا أبو عبيدة بن الجراح قد بَدَرَني ، فقال : أسألك بالله يا أبا بكر ألا تركتني فأنزعه من وجنة رسول الله ﷺ . قال أبو بكر : فتركته ، فأخذ أبو عبيدة بثنية إحدى حلقتي المغفر فنزعها وسقط على ظهره وسقطت ثنية أبي عبيدة ، ثم أخذ الحلقة الأخرى بثنيته الأخرى ، فسقطت ، فكان أبو عبيدة في الناس أثرم[٣] » .

وبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة في أربعين رجلاً من المسلمين ، فأغار على المشركين في (ذي القَصَّة)[٤] فأعجزوهم هرباً في الجبال وأسروا رجلاً واحداً فأسلم[٥] .

---

(١) انظر تفسير الكشاف للزمخشري (١٧٢/٣) وتفسير ابن كثير (٢٧٣/٨) وفيه : انزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح ، حين قتل أباه يوم بدر . والآية الكريمة من سورة المجادلة (٥٨ : ٢٢) .

(٢) المغفر : زرد يلبس فوق الرأس عند الحرب .

(٣) طبقات ابن سعد (٤١٠/٣) . والثرم بالتحريك : سقوط الثنية وهي واحدة الأسنان الأربع . وانظر جوامع السيرة ص (١٦١) وسيرة ابن هشام (٢٨/٣) .

(٤) ذو القصة : موضع بين زُبالة والشُّقُوق دون الشقوق بميلين فيه قُلُب للأعراب يدخلها ماء السماء عذب زلال ، وإلى هذا الموضع كانت غزاة أبي عبيدة بن الجراح أرسله اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١١٤/٧) .

(٥) طبقات ابن سعد (٨٦/٢) و (٤١١/٣) وجوامع السيرة ص (١٨) .

وبعثه رسول الله ﷺ في المهاجرين الأولين ، فيهم أبو بكر وعمر مدداً لعمرو ابن العاص في غزوة ذات السلاسل ، وقال له : « لا تختلفا ! » ، فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم على عمرو قال له عمرو : « إنما جئت مدداً لي » . قال أبو عبيدة : « لا ، ولكني على ما أنا عليه ، وأنت على ما أنت عليه » . فقال عمرو : « بل أنت مدد لي » . فقال أبو عبيدة : « يا عمرو ! إن رسول الله ﷺ قال لي : لا تختلفا ، وإنك إن عصيتني أطعتك »[١] .

وبعثه في ثلاثمائة رجل من المهاجرين والأنصار فيهم عمر بن الخطاب إلى حيّ ابن جهينة بـ (القَبَلية)[٢] مما يلي ساحل البحر ، فأصابهم في الطريق جوع شديد حتى أكلوا الخبط[٣] ، فابتاع لهم قيس بن سعد جُزُراً ونحرها لهم ، وألقى لهم البحر حوتاً عظيماً فأكلوا منه ، ثم انصرفوا دون أن يلقوا كيداً[٤] .

وشهد فتح مكة ، وكان على مقدمة موكب رسول الله ﷺ المؤلف من المهاجرين[٥] ، كما شهد كافة المشاهد مع رسول الله ﷺ[٦] .

لقد كان أبو عبيدة موضع ثقة رسول الله ﷺ وحبّه ، فقد سأل أهل اليمن رسول الله ﷺ أن يبعث معهم رجلاً يعلّمهم السنّة والإسلام ، فأخذ بيد أبي عبيدة بن الجراح ، وقال : « هذا أمين هذه الأمة »[٧] .

---

(١) سيرة ابن هشام (٢٩٩/٣) وطبقات ابن سعد (١٣١/٢) والإصابة (١٢/٤) .
(٢) القبلية : سَراة فيما بين المدينة وينبع ، ما سال منها إلا ينبع سمي بالغور ، وما سال منها الى أودية المدينة سمي بالقبلية . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٩/٧) ، وهو مما يلي ساحل البحر بينها وبين المدينة خمس ليـال . انظر طبقات ابن سعد (١٣٢/٢) .
(٣) الخبط : ورق الشجر .
(٤) طبقات ابن سعد (١٣٢/٢) وسيرة ابن هشام (٣٠٩/٣) وفتح الباري بشرح البخاري (٨ ٦٢) .
(٥) سيرة ابن هشام (٢٦/٤) وجوامع السيرة ص (٢٣١) .
(٦) طبقات ابن سعد (٤١٠/٣) .
(٧) الإصابة (١١/٤) وشرح النووي على مسلم (١٦٢/٥) .

وقال وفد (نجران)[١] للنبي ﷺ: «ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا، فإنكم عندنا رضاً». فقال لهم رسول الله ﷺ: «ائتوني العشية أبعث معكم القوي الأمين»، فكان عمر بن الخطاب يقول: (ما أحببت الامارة قط حبي إياها يومئذ رجاء أن أكون صاحبها، فرحت إلى الظهر مهجراً، فلما صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر سلّم ثم نظر بيمينه ويساره، فجعلت أتطاول له ليراني، فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح، فدعاه، فقال: أخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه). قال عمر: (فذهب بها أبو عبيدة[٢]!)؛ وفي رواية أن النبي ﷺ قال لأهل نجران: (لأبعثن حق أمين) فأشرف أصحابه فبعث أبا عبيدة[٣]. وفي رواية أنه قال لهم: (سأبعث معكم رجلاً أميناً حق أمين) فتشرّق له الناس، فبعث أبا عبيدة[٤].

وكان الرسول ﷺ يقول عن أبي عبيدة: (إنّ لكل أمة أميناً، وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيده بن الجراح)[٥]. وقال عنه: (لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح[٦]).

لقد كان أبو عبيدة من أنجب تلامذة مدرسة الرسول القائد.

---

(١) نجران: من مخاليف اليمن. راجع التفاصيل في معجم البلدان (٨/٢٥٨).
(٢) سيرة ابن هشام (٢/٢١٥-٢١٦).
(٣) فتح الباري بشرح البخاري (٧/٧٤).
(٤) سنن الإمام ابن ماجة (١/٣٢) وفتح الباري بشرح البخاري (٨/٧٤) وشرح النووي على مسلم (٥/١٦٢).
(٥) فتح الباري بشرح البخاري (٧/٧٣) وشرح النووي على مسلم (٥/١٦٢).
(٦) فتح الباري بشرح البخاري (٨/٧٤).

جهاده :

١ – إلى الشام

استعمل أبو بكر الصديق أبا عبيدة على جيش من جيوش المسلمين وأمره (بحمص)[١]، وكان نص أمر أبي بكر الذي أصدره لقادة الشام : (إذا اجتمعتم على قتال فأميركم أبو عبيدة)[٢]، فسلك أبو عبيدة طريق (المُعْرِقة)[٣] حتى نزل (الجابية)[٤]، وكان عدد جيشه سبعة آلاف وخمسمائة رجل[٥].

وما كادت جيوش المسلمين تصل أرض الشام، حتى بعث (هرقل) قادته وجيوشه باتجاه قادة وجيوش المسلمين[٦]، ليشغل جيوش المسلمين بعضهم عن بعض، وليحول دون تعاون قادة المسلمين فيما بينهم، وليضعف كل فرقة من المسلمين عمن بإزائها من الروم، ولكن قادة المسلمين فوتوا على الروم هذه الفرصة باجتماعهم في (اليرموك)[٧]، استعداداً لمواجهة الروم جيشاً واحداً بقيادة قائد واحد.

---

(١) ابن الأثير (٢/١٥٥) .

(٢) البلاذري ص (١١٦) وفتوح الشام للواقدي (١/٨) .

(٣) المعرقة : طريق تأخذ على ساحل البحر ، وهي الطريق التي كانت قريش تسلكها إذا أرادت الشام . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٨/٩٥) .

(٤) الجابية : قرية من أعمال دمشق . راجع معجم البلدان (٣/٣٣) .

(٥) البلاذري (١١٦) .

(٦) الطبري (٢/٥٩٠) وابن الأثير (٢/١٥٥) .

(٧) اليرموك : واد بناحية الشام في طرف الغور يصب في نهر الاردن . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٨/٥٠٤) .

٢ — في اليرموك

استمد أبو عبيدة بعد اجتماع المسلمين في اليرموك ابا بكر ، فقال أبو بكر : (خالد لها !) فبعث اليه وهو بالعراق ، وعزم عليه واستحثّه في السير [١] .

وطلع خالد على المسلمين ، ففرحوا به فرحاً شديداً ، فكان خالد قائداً عاماً في معركة اليرموك الحاسمة [٢] ، وكان أبو عبيدة على القلب [٣] ، فهاجم خالد الروم (بالقلب) حتى كان بين مشاتهم وفرسانهم وكان هجوم القلب صاعقاً ، فلما وجدت خيل الروم منفذاً لها للهرب ، تركت ساحة المعركة هاربة [٤] ؛ وبذلك قضى المسلمون على مشاة الروم ، فانتهت معركة اليرموك الحاسمة بانتصار المسلمين .

٣ — بعد اليرموك

تولى أبو عبيدة بعد اليرموك منصب القيادة العامة في أرض الشام [٥] ، فاستخلف على اليرموك بشير بن كعب الحميري [٦] ، وسار حتى نزل (بالصُّفّر) [٧] ، وهناك أتاه الخبر بأن المنهزمين من الروم اجتمعوا (بفِحْل) [٨] ، وأتاه الخبر بأن المدد قد أتى أهل (دمشق) من (حمص) ، فكتب إلى عمر في ذلك ، فأجابه :

---

(١) الطبري (٢/٥٩١) .
(٢) فتوح الشام للواقدي (١/١٤) والبلاذري ص (١١٧) والأغاني (١٤/٢٦) .
(٣) الطبري (٢/٥٩٣) وابن الأثير (٢/١٥٨) .
(٤) الطبري (٢/٥٩٦) وابن الأثير (٢/١٥٨) .
(٥) ابن الأثير (٢/١٥٨) وطبقات ابن سعد (٣/٣٩٧) واليعقوبي (٢/١١٧) .
(٦) بشير بن كعب الحميري : أحد الأمراء في اليرموك ، خلّفه أبو عبيدة على اليرموك في خيل . وهو صحابي جليل . راجع الاصابة (١/١٦٤) و (١/١٨٠) .
(٧) الصُّفّر : هو مرج الصفر ، موضع بين دمشق والجولان . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٥ : ٣٦٧) .
(٨) فحل : اسم موضع بالشام في ناحية الأردن . راجع التفاصيل في معجم البلدان(٦/٣٤٠) .

بأن يبدأ بدمشق لأنها حصن الشام وعاصمتها ، وأن يشغل أهل (فِحْل) بخيل تكون بإزائهم ، وإذا فتح دمشق سار إلى (فحل)[1] .

٤ — في دمشق

سار أبو عبيدة بالناس من المرج وعلى مقدمته خالد بن الوليد وعلى المجنبتين عمرو بن العاص وأبو عبيدة نفسه ، وعلى الخيل عياض بن غنم وعلى الرجل شرحبيل ابن حسنة ، فقدموا على دمشق وحصروا أهلها وطرّقوها ، وكان أبو عبيدة على ناحية[2] وخالد على ناحية الباب الشرقي[3] ، فحاصروا أهل دمشق نحواً من سبعين ليلة حصاراً شديداً بالزحوف والتراس والمجانيق وهم معتصمون بالمدينة يرجون وصول الامدادات ، فلما أيقن أهل دمشق أنّ الامدادات لا تصل اليهم فشلوا ووهنوا وازداد المسلمون طمعاً فيهم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وانتهز خالد فرصة انشغال أهل المدينة في احتفالهم بمولد طفل للبطريق ، فاعتلى هو وأصحابه السور وفتحوا الباب ، فلما رأى الروم ذلك قصدوا أبا عبيدة

(١) نص وصايا حركات عمر كما وردت في الطبري (٦٢٥/٢) ، أما بعد : فابدأوا بدمشق فانهدّوا لها فانها حصن الشام وبيت مملكتهم ، وأشغلوا عنكم أهل فحل بخيل تكون بإزائهم في نحورهم ، وأهل فلسطين ، وأهل حمص ، فان فتحها الله قبل دمشق ، فذاك الذي نحبّ ، وإن تأخر فتحها حتى يفتح الله دمشق ، فلينزل بدمشق من يمسك بها ، ودعوها . وانطلق أنت وسائر الأمراء حتى تغيروا على فحل ، فان فتح الله عليكم فانصرف أنت وخالد إلى حمص ودع شرحبيل وعمراً وأخلهما بالاردن وفلسطين ، وأمير كل بلد وجند على الناس حتى يخرجوا من إمارته . وانظر أيضاً ابن الأثير (١٦٤/٢) .

(٢) الطبري (٦٢٦/٢) .

(٣) البلاذري (١٢٧) .

وبذلوا له الصلح ، فقبل منهم وفتحوا له الباب وقالوا له : ادخل وامنعنا من أهل ذلك الجانب ، فدخلها خالد عنوة ودخلها أبو عبيدة صلحاً[1] .

٥ – بعد دمشق

سار أبو عبيدة بعد فتح دمشق إلى (فِحْل) بعد أن استخلف يزيد بن أبي سفيان على دمشق ، فشهد انتصار المسلمين في هذه المعركة التي كان من نتائجها فتح الاردن على يد شرحبيل بن حسنة[2] . وبينما كان أبو عبيدة يخوض معركة [illegible] يزيد بن أبي سفيان يخوض معركة فتح ساحل دمشق : صيدا [illegible][3] .

٦ – [illegible] سورية

وانصرف أبو عبيدة [illegible] (حمص) [illegible] طريقه إليها اصطدم بقوات الروم في (مرج الروم) [illegible] من اخلف قوات الروم التي قصدت دمشق ، فاستطاع خالد كما استطاع أبو عبيدة الانتصار على الروم[4] .

---

(١) الطبري (٢/٦٢٤–٦٢٧) وابن الأثير (٢/١٦٤–١٦٥) . أما البلاذري في ص (١٢٩) فيذكر : أن اسقف دمشق لما رأى أبا عبيدة قد قارب دخول المدينة ، بدر إلى خالد فصالحه وفتح له الباب الشرقي ، فدخل معه ، فقال بعض المسلمين : والله ما خالد بأمير ، فكيف يجوز صلحه ؟ فقال أبو عبيدة : « إنه يجير على المسلمين أدناهم » ، وأجاز صلحه وأمضاه ... انتهى .
وأكثر الروايات على ما ذكرناه في المتن ، لذلك رجحناه – خاصة وانه أقرب لطبيعة القائدين : طبيعة أخلاق خالد المحاربة وطبيعة أخلاق أبي عبيدة المسالمة ، لذلك نرجح دخول خالد دمشق من الباب الشرقي قسراً ودخول أبي عبيدة من باب الجابية سلماً .

(٢) الطبري (٢/٦٢٨–٦٣٠) وابن الأثير (٢/١٦٥–١٦٦) والبلاذري ص (١٢٢).

(٣) ابن الأثير (٢/١٦٥) والبلاذري ص (١٢٣) .

(٤) الطبري (٣/٩٦) وابن الأثير (٢/١٩٠) .

واستمرّ أبو عبيدة في سيره باتجاه هدفه (حمص) ، فسلك طريق (بَعْلَبَك)(١) فطلب أهلها الأمان ، فأمنهم وصالحهم ، وسار عنهم ، فنزل على (حمص) ومعه خالد ، ففتحها بعد حصار طويل على مثل صلح دمشق(٢) . ثم مضى إلى (حَماة)(٣)، فتلقاه أهلها مذعنين ، فصالحهم على الجزية لرؤوسهم والخراج على أرضهم . ومضى نحو (شَيْزَر)(٤) فخرجوا اليه يسألون الصلح على ما صالح عليه أهل حماة ، فسار أبو عبيدة إلى (معرة حمص)(٥) وهي (معرة النعمان) ، فأذعنوا بالصلح على ما صالح عليه أهل حمص .

وسار أبو عبيدة إلى (اللاذقيه)(٦) وكان لها باب عظيم لا يمكن فتحها إلا بجماعة كبيرة من الناس ، فعسكر المسلمون على بعد منها ، ثم أمر فحفرت حفائر عظيمة تستر الحفرة منها الفارس راكباً ، ثم أظهر المسلمون أنهم عائدون

---

(١) بعلبك : مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة ، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢/٢٢٦) والمسالك والممالك ص (٤٦) . « لجنة المجلة : عُرّفت بعلبك وغيرها من المدن والقرى على حسب ما ورد فيها في الكتب القديمة » .

(٢) الطبري(٣/٩٧) وابن الأثير (٢/١٩٠) والبلاذري ص (١٣٦) .

(٣) حماة : مدينة كبيرة عظيمة ، يحيط بها سور ، تقع على نهر العاصي . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣/٣٣٥) .

(٤) شيزر : قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة ، بينها وبين حماة يوم واحد . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٥/٣٢٤) .

(٥) معرة حمص : مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة . اطلق عليها اسم معرة النعمان على اسم الصحابي الجليل النعمان بن بشير الذي مات بها . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٨/٩٦) والمسالك والممالك ص (٤٦) .

(٦) اللاذقية : مدينة في ساحل بحر الشام تعد من أعمال حمص . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٧/٣١٢) .

عنها ورحلوا ، فلما أظلم الليل عادوا واستتروا في تلك الحفائر . وأصبح أهل اللاذقية وهم يرون أن المسلمين قد انصرفوا عنهم ، فأخرجوا سرحهم وانتشروا بظاهر البلد ، فلم يرعهم إلا والمسلمون يصيحون بهم ودخلوا معهم المدينة ، ففتحوها عنوة [(١)] .

وأرسل أبو عبيدة خالداً إلى (قِنَّسْرِين) [(٢)] ، وفي (الحاضر) [(٣)] اصطدم خالد بقوات الروم ، فاقتتلوا قتالاً لم يقتتلوا مثله من قبل ، وكانت نتيجة المعركة انتصار المسلمين على الروم ؛ فسار خالد حتى نزل على (قنسرين) ، فتحصن أهلها منه ، ولكنهم صالحوه على مثل صلح حمص ، فأبى إلا على خراب المدينة [(٤)] .

ولما فرغ أبو عبيدة من (قنسرين) سار إلى (حَلَب) [(٥)] فبلغه أن أهل قنسرين نقضوا وغدروا ، فوجه إليهم السمط الكندي [(٦)] ، فأعاد فتحها .

ووصل أبو عبيدة (حاضر حلب) [(٧)] ، فصالح أصنافاً من العرب على الجزية ، ثم أسلموا بعد ذلك . وأتى حلب فتحصن أهلها ، ولكنهم لم يلبثوا أن طلبوا الصلح والأمان على أنفسهم وأولادهم ومدينتهم وكنائسهم وحصنهم ، فأعطوا ذلك [(٨)] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) ابن الأثير (٢/ ١٩٠) والبلاذري ص (١٣٧) ، وفي البلاذري ص (١٣٨) : أن الذي فتح اللاذقية هو عبادة بن الصامت .

(٢) قنسرين : بلد في أرض الشام جنوبي حلب . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٧/ ١٦٨) والمسالك والممالك ص (٤٦) .

(٣) الحاضر : خلاف البادي ، وهو بقرب حلب قنسرين وهو حاضر قنسرين .

(٤) الطبري (٣/ ٩٨) وابن الأثير (٢/ ١٩١) والبلاذري ص (١٥٠) .

(٥) حلب : مدينة عظيمة واسعة ، وهي قصبة قنسرين ، مسوّرة بحجر أبيض . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣/ ٣١١) والمسالك والممالك ص (٤٦) .

(٦) هو السمط بن عمرو الكندي ، وسترد ترجمته مع قادة الفتح الإسلامي .

(٧) حاضر حلب : الحاضر خلاف البادي ، وهو بقرب حلب . راجع التفاصيل معجم البلدان (٣/ ١٩٩) .

(٨) ابن الأثير (٢/ ١٩١) والبلاذري (١٥١) .

وسار أبو عبيدة من حلب إلى (إنطاكية)(١) وقد تحصن بها خلق كثير من قنسرين وغيرها، فحاصرها من جميع نواحيها، فصالحوه على الجلاء أو الجزية، فجلا بعضهم وأقام بعضهم، فأمنهم(٢).

وبلغ أبا عبيدة أن جمعاً من الروم بين (معرة مصرين)(٣) وحلب، فقصدهم وقاتلهم وفتح (معرة مصرين) على مثل صلح حلب. وجالت خيوله، فبلغت (بوقا)(٤) وفتحت قرى (الجومة)(٥) و (سرمين)(٦) و (مرتحوان)(٧) و (تيزين)(٨) وغلبوا على جميع أرض قنسرين وانطاكية(٩).

وسار أبو عبيدة يريد (قورس)(١٠)، فصالحها على صلح إنطاكية. وبث خيوله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) إنطاكية: مدينة تعتبر قصبة العواصم من الثغور الشامية. راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٥٣/١).

(٢) ابن الأثير (١٩٢/٢) والبلاذري ص (١٥٢).

(٣) معرة مصرين: بليدة وكورة بنواحي حلب ومن أعمالها، بينهما نحو خمسة فراسخ. راجع التفاصيل في معجم البلدان (٩٥/٨).

(٤) بوقا: بلدة قرية من حلب ومن أعمالها.

(٥) الجومة: من نواحي حلب. راجع معجم البلدان (١٧٦/٣).

(٦) سرمين: بلدة مشهورة من أعمال حلب. راجع معجم البلدان (٧٥/٥).

(٧) مرتحوان، من نواحي حلب. راجع معجم البلدان (١٤/٨).

(٨) تيزين: قرية كبيرة من نواحي حلب، كانت تعد من أعمال قنسرين. راجع معجم البلدان (٤٤١/٢).

(٩) ابن الأثير (١٩٢/٢) والبلاذري ص (١٥٤).

(١٠) قورس: مدينة أزلية بها آثار قديمة. وهي كورة من نواحي حلب. راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٨١/٧).

فغلب على جميع أرض (قورُس)، وفتح (تل عَزَاز)[١]، ثم فتح (منبج)[٢] و (دُلُوك)[٣] و (رَعْبَان)[٤] صلحاً، واشترط على أهلها أن يخبروا المسلمين بخبر الروم، ووجه أبو عبيدة خالداً وهو (بمنبج) إلى (مَرْعَش)[٥] ففتحها وأجلى أهلها وأخربها، كما أنه فتح حصن (الحَدَث)[٦]، وبذلك استولى أبو عبيدة على أرض الشام من هذه الناحية إلى الفرات، فولى على كل كورة فتحها عاملاً، وضم اليه جماعة من الإداريين يعاونونه في إدارة منطقته وجيشاً يدافع عنها؛ ثم عاد إلى فلسطين[٧].

وبينما كان أبو عبيدة يعمل جاهداً لإكمال فتح سورية، كان عمرو بن العاص يعمل جاهداً لفتح فلسطين، فجاءه أبو عبيدة، وحاصروا (إيلياء)[٨] وهي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) تل عزاز : بليدة فيها قلعة تقع شمالي حلب، بينها يوم واحد. راجع معجم البلدان (٦/١٦٨).

(٢) منبج : بلدة قديمة كبيرة واسعة، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ وبينها وبين حلب عشرة فراسخ. راجع معجم البلدان (٨/١٦٩).

(٣) دلوك : بليدة من نواحي حلب بالعواصم. راجع التفاصيل في معجم البلدان (٤/٦٨).

(٤) رعبان : مدينة بالثغور بين حلب وسُمَيْسَاط قرب الفرات، معدودة من العواصم. راجع التفاصيل في معجم البلدان (٤/٢٦١).

(٥) مرعش : مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم، لها سوران وخندق، وفي وسطها حصن عليه سور. راجع التفاصيل في معجم البلدان (٨/٢٥).

(٦) الحدث : قلعة حصينة بين ملطية وسُمَيْسَاط ومرعش، من الثغور، يقال لها : الحمراء، وقلعتها على جبل يقال له : الأحيدب. راجع معجم البلدان (٣/٢٣١) وعن فتح مرعش والحدث تاريخ أبي الفداء (١/١٦٠).

(٧) ابن الأثير (٢/١٩٢) والبلاذري ص (١٥٥).

(٨) ايلياء : اسم مدينة بيت المقدس. ومعناها : بيت الله. راجع التفاصيل في معجم البلدان (١/٣٩٢).

بيت المقدس ، فطلب أهلها أن يصالحهم أبو عبيدة على مثل صلح أهل الشام ، وأن يكون المتولي لعقد الصلح عمر بن الخطاب ، فكتب اليه بذلك ، فقدم عمر وفتح مدينة القدس (١) .

٧ — الدفاع عن حمص

عاد أبو عبيدة الى (حمص) بعد فتح القدس ، فقصده الروم ، وكان المهيج لهم أهل (الجزيرة) (٢) ، فقد راسلوا ملك الروم وحثوه على إرسال الجيوش لاسترداد الشام ، وتطوعوا من أجل ذلك لمعاونته .

وسمع أبو عبيدة باجتماع الروم وحلفائهم ، فضمّ اليه مسالح المسلمين وعسكر في داخل مدينة حمص ، وأقبل خالد من قنسرين اليهم ، فاستشاره أبو عبيدة في مهاجمة الروم أو التحصين إلى مجيء الامدادات ، فأشار خالد بالمناجزة وأشار غيره بالتحصين ، فأطاع أبو عبيدة الأكثرية ، وكتب بذلك إلى عمر .

وكان عمر قد أعدّ في كل مصر من أمصار المسلمين الكبيرة ومنها الكوفة قوة احتياطية سريعة من الفرسان ، فكان بالكوفة وحدها أربعة آلاف فرس ، وكان واجب هذه القوات الاحتياطية السريعة ، إسناد مواقع المسلمين التي يتهددها الخطر اسناداً فورياً حتى يتجهّز الناس ، فلما سمع عمر الخبر ، كتب إلى سعد بن أبي وقاص : « اندب الناس مع القعقاع بن عمرو وسرّحهم من يومهم الذي يأتيك فيه كتابي إلى حمص ، فان أبا عبيدة قد أحيط به ، وتقدّم اليهم

(١) ابن الأثير (٢/١٩٣) والبلاذري ص (١٤٥) .

(٢) الجزيرة : هي التي بين دجلة والفرات مجاورة أرض الشام ، تشمل على ديار مضر وديار بكر . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣/٩٦) .

في الجد والحث » ، وكتب إليه أيضاً ، أن يسرِّح سهيل بن عدي إلى (الرقة)[١] لأن أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص ، وأمره أن يُسرِّح عبدالله بن عبد الله بن عتبان إلى (نصيبين)[٢] ، ثم ليقصد (حران)[٣] و (الرُها)[٤] ، وأن يُسرح الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ ، وأن يُسرِّح عياض بن غَنْم ، فان كان قتال ، فأمرهم إلى عياض .

ومضى القعقاع من يومه على رأس أربعة آلاف فارس إلى حمص[٥] ، وخرج عياض وأمراء الجزيرة وأخذوا طريق الجزيرة ، وتوجَّه كل أمير إلى المنطقة التي أُمِّر عليها ، وخرج عمر فأتى (الجابيه) يريد حمص مغيثاً لأبي عبيدة .

وبلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا الروم على أهل حمص أن جنود المسلمين قد تحركوا من الكوفة دون أن يعرفوا الوجهة الحقيقية لها : أي هل تتجه صوب الجزيرة أم تتجه إلى حمص ، كذلك تفرقوا إلى بلدانهم لحمايتها والدفاع عنها من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) الرقة : مدينة مشهورة على الفرات . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٢٧٢) والمسالك والممالك ص (٥٣) .

(٢) نصيبين : مدينة كبيرة عامرة في بلاد الجزيرة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٨/٢٩٢) والمسالك والممالك ص (٥٢) .

(٣) حران : مدينة عظيمة مشهورة في الجزيرة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣/٢٤١) والمسالك والممالك ص (٥٤) .

(٤) الرها : مدينة في الجزيرة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٤/٣٤٠) والمسالك والممالك ص (٥٤) .

(٥) حركة أربعة آلاف فارس في يوم واحد إلى هدف بعيد ليس سهلاً . إنه يكاد يكون مستحيلاً في أيامنا الحاضرة ، فكيف أنجزه المسلمون قبل أربعة عشر قرناً ؟!

الخطر المباشر الذي داهمها ؛ وبقي الروم وحدهم حول حمص ، فقاتلهم المسلمون وانتصروا عليهم بسهولة قبل أن يبلغ القعقاع حمص بثلاثة أيام ؛ فكتب عمر إلى أبي عبيدة كي يشرك أهل الكوفة في العطاء قائلاً : « جزى الله أهل الكوفة خيراً : يكفون حوزتهم ويمدّون أهل الأمصار »(١).

وبذلك استطاع أبو عبيـدة ترصين ما فتحه من أرض الشام ، وإكمال فتح أرض الشام : سورية ولبنان وفلسطين والأردن .

الزعيم الركن
محمود شيت خطاب

(يتبع)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) الطبري (١٥٠/٣) وابن الأثير (٢٠٥/٢) .

ما رسب في اللغة العامية

من اللهجات القرآنية

هذا باب واسع وأنا أكتب في دائرة محدودة والموضوع بكر وهو ينتظر اضافات وتفريعات ...

ان كثيراً من اللهجات القرآنية عزلت عن (لغة الدراسة) قراءةً وكتابةً حفظاً لوحدة التعبير ، وكان على ذلك اجماع عجيب من المشارقة والمغاربة ، واقتصر الخلاف على رسم الخط كنقط الفاء والقاف ، ولم يكن ذلك عن تأليف مجمع ولا سعي دولة ولا دعوة داع ولا تأثير لاختلاف المصطلحات .

ولعل مما ساعد على ذلك اختيار أسهل القراءات لعامة الناس وبعد ... التقييد كقراءة عاصم في المشرق وقراءة نافع على ما أظن في المغرب .

وهذا الذي عُزل عن لغة الدراسة رسب كثير منه في لغة التخاطب ، يعمُّ تارةً ويخص أخرى ، ومن هنا تشعبت اللهجات العامية ولم ينفعها سقوط الإعراب .

فأول ما يتبادر إلى الذهن إمالة الألف في الحواضر تبتدىء من تكريت الملحقة ببغداد دون أن يكون لبغداد نصيب منها [1] ، تليها الموصل مغرّبة إلى ما شاء الله . ولم نسمع أهل بادية يميلون ألفاً ولا هاء . والبحث في دائرة محدودة كما سبق والاستيعاب صعب بل مستحيل .

---

(١) لكن أهل بغداد شذوا في باذنجان فقالوا (بيدنجان) ويقولون (ديور) بمعنى (داور) لم أجد لهم غيرهما وأظنهم يقولون (بلي) مكان (بلى) ونص ياقوت على أن ديالى بالأمالة .

فالموصلي يقول (جيمع) مكان (جامع) ، و (ويقف) مكان (واقف) .
ولا يقول (كيتب) مكان (كاتب) ولا (حيسب) مكان (حاسب) إلا إذا أراد الحديث مثل (فلان كيتب لي مكتوب) و (وفلان حيسب احساب) ، وهذه الإمالة معتدلة كإمالة السوريين ، لكن أهل تكريت يغلون فيها ، ومثلهم أهل حي من أحياء الموصل يقال له باب العراق وهو اليوم دارس اشتهروا بلفظ (جيجي) و (افنيش) بكسرة قوية والمراد (جاجة) و (فراش) وبعض الأحياء (جاجة) بالإقامة والأصل (دجاجة) .

واللهجة العريقة في الموصل امالة خفيفة للألف وامالة ثقيلة للهاء ، ولم أجد على هذا التقسيم نصاً ، واضطررت إلى مراعاة الواقع كما اني تساهلت في التعبير بامالة الهاء وعبارة النحويين امالة الفتحة قبل الهاء عند الوقف على المختوم بتاء التأنيث لأن الهاء تصبح حرف علة في اللهجة العامية فتنقلب إلى ياء .

وأهل الأحياء يتنادرون في شأن اللهجات ولا تخرج المسألة عن الألف فالذين يقولون (جيجي) بامالة خفيفة وأخرى ثقيلة يضحكون ممن يقولها بإمالتين ثقيلتين ؛ والقالبون يقولون سوق وصندوق بضمة منحرفة ، ويضحكون ممن يقول سوق وصندوق بضمة قوية مع أنها سوق وصندوق بضمة منحرفة ، ويضحكون ممن يقول سوق وصندوق بضمة قوية مع إنها هي الفصيحة فيتحفظ المغلوب عند الكلام ويقتصر على أهل حيه ! وإذا قال الموصلي في بغداد أو سورية (رحتو) أو (جيتو) استغربوا ضم التاء وعدوه تنطعاً ثقيلاً ! لا سيما أنهم يعنون بأشباع الضمير المخاطبين أي (جيتم) و (رحتم) ويستوي عندهم المتكلم والمخاطب في قولهم (رحت) أو (جيت) باسكان التاء وانما التزم الموصليون الضم للتفريق بين المتكلم والمخاطب فعند ارادة الأول يضمون باشباع وعند ارادة الثاني يسكنون .

وكإمالة الألف إمالة الهاء كما سبق ، ولما كان الوقف ملازماً للهجة العامية لم يكن بد من فشو الإمالة في المناطق التي تميل مثل (سمكي) و (وأغنبي) و (كلبي) و (يزوني) و (غماني) ، إلا أنها غير مطردة إذ يقولون : (فاغة) و (قاعة) و (غزالة) و (تفاحة) ... ويميلون (فاطمـة)[1] ولا يميلون عائشة ولا خديجة ولا فاطمة بنت النبي ﷺ وكذلك سائر الأعلام مثل عزيزة وشريفة ... فإذا أرادوا الوصف أمالوا فقالوا (فلانة عزيزي على أهلاَ) و (فلان أخلاقُو شريفي) بفتح اللام والقاف لعلة مبسوطة في باب الوقف .

وهذه أيضاً تنقسم إلى خفيفة وثقيلة ، فالثقيلة ملازمة للهجة التكريتية والموصلية لا تتعداهما ! والخفيفة منتشرة في البلاد السورية مبتدئة من ماردين إلى ما لا أدري . ومن يستمع الى اسطوانة (شمس الشموصة) يجزم أن الإمالة بلغت الريف المصري وهي مفقودة في ريفنا !

وأكاد أشعر أن امالة خفيفة جداً تجري على ألسنة البغداديين أو بعضهم عند النطق بمثل وظيفة وحنيفة وجريدة وأنا لا أدرك الاختلاف في اللهجات البغدادية كما يدركه أهلها .

والمستفاد من استماع القراء المصريين من دار الإذاعة ان الامالة الثقيلة واردة في القرآن مثل (اولئك أصحاب الجنى) ولا أزال أسمع قارئاً[2] يقرأ (وجاء ربك والملك صفاً صفا وجيء يومئذ بجهنم ...) فلا أفرق بين الفعل المعلوم والفعل المجهول كما لا أفرق بين الماضي والمضارع في (وما أدريك ما الطارق) وكنت أظن أن الإمالة في القرآن الكريم كلها معتدلة حتى سمعت قراء مصر المعتبرين وفي نظري أن الإمالة القوية كسر لا إمالة .

---

(١) العرب وأهل بغداد يقولون فاطمة وفطوم وأهل الموصل يقولون فاطمي وفطومة وقد يقولون فطوش كأنه تصغير أعجمي (فطوجه) ، والأكراد : فاتي .

(٢) هو الأستاذ صديق المنشاوي .

ومن الباب نقل حركة الهمزة إلى الحرف الساكن قبلها فتنقلب ألفاً ثم تحذف ، والشواهد كثيرة في القرآن ، وأظهرها قراءة ورش منها (يسألونك عنلنفال فللنفال) ولما كانت العامية تبتدىء بالسكون كثيراً والسكون يحتاج إلى همزة وصل كثر هذا الضرب من النقل مثل (خذْ لِكتاب) بسكون وكسر وأصله (خذِ الكتاب) بكسر وسكون ولما كانت اللهجة كسر همزة (أقلام) كان حكمها كحكم همزة (إكتاب) فيقولون (خذْ لِقلام) بسكون وكسر ، والفصيح (خذِ َلقلام) بكسر وفتح ، والأصل (خذِ الأقلام) .

ومن الباب حكم الراء في قراءة عاصم احتفظت به (قراءة الدراسة) ، وتغلب في العامية ، فنجد الترقيق في بعض ما حكمه التفخيم ، فيقولون (زهرة) وهو ترخيم (زهراء) ، وفي جنوب الموصل عين معدنية تسمى (عين زهرة) بالترقيق[1] ، ومنه بيت لشاعر صوفي بلهجة بدوية ولعله راوي :

يا اللي تريدِ العيبِرْ وامش الغرّك تِبرْه كُلْ الشرايع زَلّك من بَمْنا العيبِرْه !

بترقيق حرف الروي ، ولو تفخم لفسدت مذاقة البيت ، ومن هنا تعلم ما في اللهجات من دقة وارتباط الشعر بها ، ويكثر الترقيق في لهجات النصارى ، والمسموع من قراء السبعة كثير مثل (اكبرَ) و (افترى) و (فرارا) و (يرى) و (يره) و (ذراعيه) ... ومن عجائب اللهجات وغرائبها أن أهل الموصل يقولون (اضفاع) إذا أرادوا آلة الذرع ، وإذا أرادوا العضو قالوا (اذراع) بالترقيق ، ويقتصرون في ذلك على كناية مشهورة لديهم : (جابوا بذراعو) أي باستعداده وقوته دون اعانة من أحد ، مع أنهم لا يطلقون الذراع على العضو المعلوم خارجاً عن المثل فلا يقول أحدهم (اكلت اذراع) بل يقول (اكلت زند) ومن الأمثال على ما أتذكر (شمّل ذرعانو) بالجمع بمعنى (شمر عن ساعديه) للأكل ونحوه .

(١) فاذا قالوا (فاطمة الزهرة) فخموا .

ومن الباب ادغام التاء فيما يقاربها من الحروف وذلك في باب تفعل وتفاعل مثل (اذكر) بشدتين و (اذاكر) بشدة ، و (اصدق) و (اصادق) ، و (اصالح) ، ومثلها مضارعاتها فهذه عزلت عن نثر الكتاب وقراءته وبصبت في لغة التخاطب لكن (ادكر) بالشد عزل عن النثر والتخاطب معاً وكل ما عزل مرخوص فيه للشاعر .

أما الضم والكسر في مثل (عليكم) و (عليهم) فأهل بغداد والأعراب يلتزمون الضم وأهل الموصل يكسرون في الجمع ويضمون في المفرد [١] فيقولون (علينو) والمراد (عليهُ) بالضم وهو ما شذ فيه عاصم في قوله تعالى (ومن أوفى بما عاهد عليه الله) وعلى هذا القياس (بيتو) مكان (فيهو) للاستغناء بياء مشبعة عن (في) ومن هذا الضرب (منّو) وأهل بغداد : (منّه) بالشد والفتح والضم يبدأ من جزيرة الموصل إلى آخر الأندلس . وفي الأزجال العامية شواهد وما أدري الفتح الذي يبدأ من بغداد إلى أين يصل ؟ وسمعت من عرب الجزيرة (بوه) والمراد (بهو) ولما كنا صغاراً نترامى بالمقاليم كان إذا انكسر أحد الطرفين ينادي الطرف الآخر وراءه (عليهُم عليهُم !) بالضم على لهجة البادية لأنها أوقع في النفوس مع أن الكاسرين من أهل الكسر ! وتلك بلاغة غريزية لم يدرسها الصغار في كتب البلاغة !

---

(١) كان المغفور له الشيخ عبد القادر الشربتي سأل عن مثل هذا بناء على سؤال أتاه من بون عاصمة المانيا بناء على وقوعه في ديوان الحلي ، فتعجبت من سؤاله عن شيء واقع في لهجته ، فكتبت اليه أن الحلي اما أن راعى لهجة ماردين أو اللهجة السورية أو أن لهجة الحلة كانت كذلك في عصره ، ولا يبعد أنها كانت فاشية في العراق كالموصل والجزيرة ثم تبدلت الأحوال ... ولا يبعد أن يكون الجواب محفوظاً بين أوراقه التي تركها مع أشياء أخر كنت كتبتها اليه ولم تحظ بالنشر .

وفتح ابن خلدون علينا مشكلاً هو قلب القاف المعهودة كافاً في الجيل العربي قاطبة ، والاشكال من جهة شموله لا من جهة وقوعه لأنه وارد . ومما أذكره قراءة (فأما اليتيم فلا تكهر) .

وزعم الذاهبون إلى هذا أنه قراءة النبي ﷺ ولما زار العراق ولي عهد اليمن البدر ... قدمه (أهل أبي حنيفة) اماماً في بعض الصلوات . وكان أبو حنيفة صديقاً لزيد فبلغني أنه قرأ (الصراط المستكيم) ، و (كال الله هـذا يوم ينفع الصادكين صدكهم) . وهذا المخرج شائع في العراق ، إلا الموصل وتكريت باستثناء أحياء معينة ، وليس مطرداً ، إذ يقولون قرآن و (اقراية) و (قانون) و (قوندره) و (قنفة) و (قالب) و (پرتقال) ... وما أدري كيف شمل هذا المخرج الجيل العربي غير المتحضر مع اجماع السبعة على المخرج المتعارف بين القراء لا سيما أن علماء التجويد نصوا على القلقلة والقلقلة تقتضي قافاً ثقيلة لا كافاً خفيفة .

ومن الباب تفخيم لام (الصلاة) الشائع بين الجيل وهو مما نسمعه من بعض قراء السبعة .

ومن الغريب أن المسلمين العريقين في الموصل لا يفخمونها ، ويفخمها النصارى العريقون فيقولون (يصلي) بتفخيم ثقيل مع بعدهم عن لهجة البادية من قديم الزمن ! ومما حفظته عامية اليهود في بغداد اطلاق لفظ (الصلاة) على معبدهم المسمى في لهجة الموصل (اكنيسي) وجاء في القرآن (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد) . وأهل بغداد يطلقون لفظ الكنيسة على معبد النصارى وأهل الموصل : (بيعة) بفتحة ممالة ، والصواب الكسر ، لكن في شمالي الموصل موقع يقال له (حاوي الكنيسة) والعرب (حاوي الچنيسة)[1] يعنون معبداً نصرانياً أخذته مقام (مار ميخائيل) والحاوي ما جاور النهر في اصطلاحهم .

---

(١) بادغام اللام بالجيم الفارسية وكذلك الجيم العربية مثل (غاس الجمش) لشم يلحقونها بالحروف الشمسية .

ومن الباب التزام كسر حرف المضارعة إلا الألف أو ما جاور الألف ولا أتذكر إلا (نستعين)، غير أن البادية تخيف كسر التاء مثل (يستحي) و (يختزي). ومن الغريب أن يرد كسر الهمزة في قول الشاعر :

وما أدري ولست إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

وقول الآخر :

إخالك موعدي ببني جُفيف وهالة انني انهاك هالا !

والتزمه النحاة وقصروه على مادته .

ومن الباب عموم مادة (أنطى)، لا يستثنى إلا الموصليون العريقون، وقد قرىء (انا انطيناك الكوثر)، والله أدرى وأخبر .

ومما وقع في المصاحف رسم مثل (رحمت) بالتاء الطويلة مراعاة للوقف عليها، وهي لهجة تنسب إلى حمير، ويروى عن سيف بن ذي يزن أنه قال (ليس عندنا عربيتْ من دخل ظفار حمّر). وهذه اللهجة مقتصرة على لبنان فيما أظن، وأخذ بها الترك فقالوا (ملت) و (حميت) وشوكت وعزت الخ ... وأخذ عنهم العرب بعض الألقاب وكتبوها كما كتبوها، وقام المحدثون فقصروا التاء، وهو خلاف المقتضى ما دام النطق محافظاً على التاء فإذا كتبنا شوكت على شكل شوكة أوهم واحدة الشوك ! وهي عند الترك سماعية أيضاً لأنهم يقولون مسأله وقضيه وتربيه ووالده وكريمه وسليمه ونزهت ودولت علماً على مرأة، وعندنا يسمون (دولة) والترك يقولون ولايت ويجمعونها على ولايات وايالت ويجمعونها على ايالات وقالوا زعامت والجمع (زعامتلر) .

ومما ورد في القراءات قلب السين صاداً مثل (مصيطر) و (صراط) وكان أصله (سراط) .

والموصلي يقول في (ساذج) : صاده والبغدادي والسوري سادة . ويقولون

(صاج) مكان صاج و (اصخام) مكان سخام . وقد يعكسون فيقولون سقّال مكان صقّال .

ومن أمثال الموصل : (ايعيدَه ويسقلَه) الضمير للتأنيث نقلت حركة الهاء إلى ما قبلها ، واكتُفي بالفتحة والبغدادي : (ايعيدْها ويسقلْها) . ولا تكاد الالف تظهر في النطق اكتفاءً بالفتحة وظهور الألف في الخط فقط . ولكل من اللهجتين تعليل فالبغدادي أبقى السكون في الفعل على حاله والموصلي نقل الفتحة إلى الساكن قبلها .

وبعض اللهجات القرآنية عزل عن لغة الإنشاء ولغة التخاطب معاً كإشباع ضم الميم من هم وكم الضميرين والشاعر حر فيه ولا ضرورة اليه في قراءة ولا كتابة .

ومما عزل عن اللغتين معاً حذف احدى التاءين من مثل (تتذكرون) كما عزل عنها نون التوكيد في الغالب . وأسمع من بعض سكان الجنوب (اروحن) ، (اجيبن) ، (اكوان) لغير غرض التوكيد ، وكثون التوكيد لام التوكيد بأنواعها وبعض الكتاب القاهريين يستعملون (والّن) بمعنى (وإن) وعزل عن [illegible] حمراء وبيضاء فأهل الموصل يقولون (حمغا) و (خضغا) و (صفغا) للالوان فإذا أرادوا مرض (الصفراء) قالوا (صَفرة) ! والأعراب وأهل بغداد : (حمرة) و (خضرة) و (شكرة) و (ملحة) يقول شاعرهم :

حَوِّل براعي الشكره حوِّل وانطيني اعلومك !

و (صفرة) و (بيضة) ... وهذه اللهجة فتحت لي باباً إلى القول بأن أعزة وأذلة واشحة وما شاكلها مرخمة عن أعزاء وأذلاء واشحاء ... فهي متنزلة عن (افعلاء) لا (افعلة) مستقلة ، والدليل على ذلك انهم قالوا : أجلاء واجلة ، ومضوا في التخفيف فقالوا (جيلة) ، وهذا دليل على مرونة اللغة ، الا ان الألف له أحكام فقد يجيز القياس شيئاً غير المألوف كجُملى وشُرفى وعرفى لتفضيل المؤنث وقد يؤلف شيءٌ خارج عن القياس كأصدقاء وانصباء وحمقاء وصلحاء وعلماء .

فائدة تتعلق باللهجــة الموصلية :

اشتهر أهل الموصل بقلب الراء غيناً الا أنه ليس قياسياً إذ يقولون : رجب في جنب غمضان وربيع للرفيق وربيع للشهر وغبيع للوسم واغبعة في العدد ورّبع للأصدقاء وامغبيع لو كيل الملاك عن الزرع وربعـة لأجزاء الختم وترابيع تترافق ... ووقع في روع شاب موصلي أن أهل بغداد يتنادرون على هذه اللهجة فأراد أن يردها عليهم مدعياً أن أهل بغداد كانوا يجلبون الفتيات الجميلات فكن يلثغن بالراء فأعجبتهم لثغتهن فقلدوهن فيها ثم سرت إلى الموصل بحكم العدوى وأتى ببراهين لا جدوى من نقلها . وفاته أن شاعراً قديماً تعرض لها قائلاً :

لقد فتنتني لثغـة موصلية رمتني في تيار بحر هوى اللثغ

وجاء بنماذج تزيد فيها حيث قال :

تغنق فشغب الخمغ من كغم غيقي يزيدك عند الشغب شكغاً على شكغ

وأهل الموصل لا يلثغون براء الشكر أما الشغب فنعم ! لكنهم يقولون (مشربة) لما يقال له اليوم بالعامية برواق أو كلاص أو كبابة ! .

بغداد: محمود الملاح

التعريف والنقد

طبقات الصوفية

لأبي عبد الرحمن بن محمد السلمي

تحقيق وتقديم يوهانس بيدرسين ، طبعة ليدن ، سنة ١٩٦٠

يقول السلمي في التعريف بكتابه : « .. فأحببت أن أجمع في سير متأخري الأولياء كتاباً أسميه طبقات الصوفية . أجعله على خمس طبقات من أئمة القوم ومشائخهم وعلمائهم وأذكر في كل طبقة عشرين شيخاً من أئمتهم الذين كانوا في زمان واحد وقريب بعضهم من بعض وأذكر من كلامه وشمائله وسيرته ما يدل على طريقته وحاله وعلمه ... » . وقد حقق هذا الكتاب الاستاذ بيدرسين معتمداً على خمس مخطوطات ، وقدم له بمقدمة تقع في نحو خمس وأربعين صفحة ، وألحق به فهارس بأسماء الرجال والنساء والأماكن ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتاب مشاهير علماء الأمصار

من تصنيف محمد بن حِبَّان البُستي ، عني بتصحيحه م . فلايشهمر

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٩٥٩

هذا كتاب في علم الجرح والتعديل ، يضم ألفاً وستمائة ترجمة وترجمتين للمحدثين الموثوقين ، وقد نظر في تصنيفه الى زمان المترجمين (الصحابة فالتابعين فأتباع

التابعين) ، وقد اعتمد المستشرق الألماني الأستاذ فلايشهمر في تحقيقه على نسخة وحيدة عثر عليها في مكتبة الجامعة بلايبزيغ ، ولم يأل جهداً في التحقيق بالرجوع إلى المشهور من كتب التراجم والطبقات . وأتبعه بفهرس أبجدي بأسماء رجال التراجم .

روضة السلوان

لأبي إسحق ابراهيم بن عبد الجبار الفجيجي

عني بنشرها وترجمتها إلى الفرنسية والتعليق عليها : نور الدين عبد القادر وهنري جهيه نشر معهد الدراسات الشرقية ، كلية الآداب بالجزائر ، سنة ١٩٥٩ و « روضة السلوان » هذه قصيدة عينية من البحر الطويل في الصيد ، وتقع في أربعة عشر ومائتين من الأبيات ، ومطلعها :

يلومونني في الصيد والصيد جامع لأشياء للإنسان فيهـا منافع

والشاعر من شعراء النصفين الأخير والأول من القرنين التاسع والعاشر الهجريين ، وموطنه فجيج وهي أرض تقع إلى الجنوب من وهران .

فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد للامام البخاري

تأليف فضل الله الجيلاني

في (٦٤٨) صفحة ، طبع على نفقة الحاج يوسف زينل الحجازي في المطبعة السلفية في القاهرة ، سنة ١٣٧٨ هـ .

أفرد الإمام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ، إلى جانب جامعه الصحيح ، كتاباً قصره على موضوع الأدب هو « الأدب المفرد » . وكتابنا هذا هو الجزء الأول من شرحه الذي قام به فضل الله الجيلاني الأستاذ في الجامعة العثمانية بحيدر آباد الدكن . ويحتوي هـذا الجزء على ستة وأربعين وخمسمائة حديث مشروحة . تتناول موضوعات مختلفة من بر الوالدين وصلة الرحم ورعاية الجار ومعاملة الخادم والعبد وآداب المعاشرة وحسن الخلق وعيادة المريض ورحمة البهائم وسواها . وقد افتتح بثلاث مقدمات : أولاها في التعريف بالإمام البخاري كتبها الأستاذ محب الدين الخطيب ، وثانيها في التعريف بكتاب الأدب المفرد وشرحه كتبها الأستاذ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، والثالثة بقلم الشارح نفسه .

ARCHIVE

كتاب الوافي بالوفيات (الجزء الرابع)

تأليف صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي

في (٤١٦) صفحة من قطع الوسط ، نشر باعتناء : س . ديدرينغ في سلسلة « النشريات الإسلامية » طبع في المطبعة الهاشمية بدمشق ، سنة ١٩٥٩ .

كتاب الوافي بالوفيات كتاب تراجم مرتبة حسب الأحرف الأبجدية . وهذا الجزء الرابع يترجم لخمسمائة من الرجال ، فيما بين : محمد بن عبيد الله ومحمد بن محمود . وقد اعتمد المحقق المستشرق الألماني الأستاذ س . ديدرينغ على نسخة فوتوغرافية مأخوذة عن النسخة المحفوظة في خزانة السراي باستانبول ، التي أثبت الأستاذ ريتر انها قوبلت مرتين على خط المؤلف بكامل الاعتناء .

كنز الدرر وجامع الغرر

الجزء التاسع وهو

الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر

تأليف أبي بكر عبد الله الداوداري ، تحقيق هانس روبرت رويمر

في (٥٩٠) صفحة من قطع الوسط ، نشر قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار بالقاهرة ، سنة ١٩٦٠ ، يطلب من سامي الخانجي بالقاهرة .

هذا الكتاب هو الأول من سلسلة مصادر تاريخ مصر الإسلامية التي يزمع اصدارها قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار . وهذا الكتاب من نوع الحوليات ، يبدأ بسنة ٦٩٨ هـ ، وينتهي بسنة ٧٣٥ هـ . وقد قدم له المستشرق الأستاذ رويمر بمقدمة في (٣٤) صفحة باللغة الألمانية . وختم بأربعة فهارس للأعلام والأمم والطوائف ، وللأماكن ، وللاصطلاحات والكلمات ، وللشعراء والمؤلفين والكتب .

منادمة الأطلال ومسامرة الخيال

تأليف الشيخ عبد القادر بدران المتوفى بدمشق سنة ١٣٤٦ هـ .

في (٤٥٠) صفحة من القطع الكبير ، طبع على نفقة صاحب السمو أمير قطر الشيخ علي آل ثاني منشورات المكتب الإسلامي للطباعة والنشر بدمشق ، سنة ١٩٦٠

يقول الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار في التعريف بالكتاب وترجمة المؤلف : « .. نحا فيه (أي المؤلف) نحو كتاب (الدارس في تاريخ المدارس)

اسميه الشيخ عبد القادر النعيمي الدمشقي المتوفى سنة ٩٢٧ هـ ... فبدأ بوصف دور القرآن فدور الحديث فدورهما معاً ، فمدارس الشافعية فالحنفية فالمالكية فالحنابلة ، فمدارس الطب والحكمة ، والخانقة في ذكر ما انشىء في دمشق من المعاهد العلمية ، وذكر ما هو موجود منها الآن مما تقدم ذكره ، ثم خوانق الصوفية والربط في دمشق والزوايا ، والترب ، وما اشتهر من الجوامع ، وخاتمة بمتنزهات وأنهار دمشق » .
وقد أشرف على طبع الكتاب ووضع له أربعة فهارس الأستاذ محمد زهير شاويش .

تاج العروس من جواهر القاموس (الجزء الأول)

تأليف : السيد محمد مرتضى الواسطي الزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ

أصلح هذه الطبعة وعلق عليها الدكتور مصطفى جواد ، ونشرتها دار الفكر ببيروت .
يحتوي هذا الجزء (٨٦ صفحة من القطع الكبير) على ترجمة للمؤلف كتبها الدكتور مصطفى جواد ، وعلى ديباجة المؤلف ومقدمته ، ثم على شرح ديباجة مؤلف القاموس مجد الدين الصديقي الفيروزآبادي الشيرازي المتوفى سنة ٨٠٧ هـ .

العراق في الخوارط القديمة

جمعها وحققها الدكتور أحمد سوسه

من مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، سنة ١٩٥٩

تحتوي هذه المجموعة على ثمان وثلاثين خارطة قديمة (وخارطة تاسعة وثلاثين حديثة للعراق تبين المواضع التاريخية فيه) . وترجع أولى هذه الخوارط إلى

العهد السومري قبل أربعة آلاف سنة وأخراها إلى العهد العربي الإسلامي في القرن السادس عشر . وتضم فيما بين هذين الحدين خوارط بابلية وآشورية ويونانية وعربية ، لمدينة أو اقليم أو دولة أو العالم ، وبعضها خوارط للأراضي الزراعية المحددة وخوارط فلكية وقدم لهذه المجموعة الدكتور أحمد سوسة بمقدمة استعرض فيها نشأة الخوارط الجغرافية والفلكية وتطورها ، مشيراً إلى مفهوم الإنسان المتطور للعالم الأرضي والسماء .

معجم ألفاظ القرآن الكريم (الجزء الثاني)

في (٢٦٥) صفحة من القطع الكبير

منشورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، سنة ١٩٥٩

يحتوي هذا الجزء على الألفاظ الواردة في القرآن الكريم المبتدئة بأحرف الجيم والحاء والخاء والدال والذال . والطريقة المعتمدة فيه ، كما في الجزء الأول ، هي : الابتداء بذكر مادة اللفظة في كل صيغها الواردة في القرآن ، وتصنيف هذه الصيغ حسب رابطة الاشتقاق والمعنى ، ثم ذكر كل صنف وتحديد معاني الألفاظ المنتسبة اليه ، ثم الاتباع بسرد كل صيغة مشاراً إلى عدد مرات ورودها مرفقة بآية أو آيتين مع تعداد مواضع الورود بذكر رقم الآية واسم السورة .

فمثلاً في مادة حجج ابتدئ بسرد كل الصيغ الواردة في القرآن فبلغت العشرين ؛ وصنفت هذه الصيغ في ستة أصناف هي : (١) حج يحج ... (٢) الحاجّ (٣) الحجة (٤) حاجّة (٥) تحاجا (٦) الحجة ؛ وذكر تحت كل صنف معانيه ، ثم أتبع بالصيغ المختلفة الداخلة فيه على النحو الذي ذكرنا .

الادب العربي المعاصر في سورية

تأليف سامي الكيالي

بتكليف من الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية

في (٢٢٣) صفحة من قطع الوسط ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٥٩

حاول الأستاذ سامي الكيالي ، في أربع وثلاثين صفحة في مبتدأ الكتاب ، أن يصور الجو السياسي والاجتماعي والفكري ، ويدل على المنابع التي استقى منها الأدب العربي في سورية ، فيما بين منتصفي القرنين التاسع عشر والعشرين . ثم ترجم لثلاثة وعشرين شاعراً وأديباً ومفكراً ، ملحقاً كل ترجمة ، في غالب الأحوال ، بمختارات من شعر أو نثر المترجم له .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تاريخ يتكلم

مجموعة شعرية لفخري البارودي

طبع دمشق سنة ١٩٦٠

لقد شارك الأستاذ فخري البارودي مشاركة فعالة في نضال هذه الأمة ضد المستعمر ، وفي سعيها لبعث تراثها ، وبخاصة الفني منه . وتعكس هذه المجموعة الشعرية أصداء من هذا النضال تمتاز بعذوبتها الشعبية وصدقها وخفة روحها .

عبد الكريم زهور

الادب العربي المعاصر في سورية

تأليف سامي الكيالي

بتكليف من الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية

في (٢٢٣) صفحة من قطع الوسط ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٥٩

حاول الأستاذ سامي الكيالي ، في أربع وثلاثين صفحة في مبتدأ الكتاب ، أن يصور الجو السياسي والاجتماعي والفكري ، ويدل على المنابع التي استقى منها الأدب العربي في سورية ، فيما بين منتصفي القرنين التاسع عشر والعشرين . ثم ترجم لثلاثة وعشرين شاعراً وأديباً ومفكراً ، ملحقاً كل ترجمة ، في غالب الأحوال ، بمختارات من شعر أو نثر المترجم له .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تاريخ يتكلم

مجموعة شعرية لفخري البارودي

طبع دمشق سنة ١٩٦٠

لقد شارك الأستاذ فخري البارودي مشاركة فعالة في نضال هذه الأمة ضد المستعمر ، وفي سعيها لبعث تراثها ، وبخاصة الفني منه . وتعكس هذه المجموعة الشعرية أصداء من هذا النضال تمتاز بعذوبتها الشعبية وصدقها وخفة روحها .

عبد الكريم زهور

نظرة في الكتاب المعنون بعنوان

« مقدمة في النحو »

المنسوب إلى الإمام خَلَف الأحمر

-٢-

١٢ — وقال (في صفحة ٥٣) « والواحدُ الخارجُ من الجماعة » أراد به تمييز المقادير كما سيوضحه بالمثال (في صفحة ٥٨) بقوله « اضربه عشرين سوطاً » ، وهذه تسمية غريبة لا نعرفها لأحد من النحاة . ومعنى كون تمييز المقدار — واحداً خارجاً من الجماعة — أنه فرد بارز للسامع من جماعة مبهمة ، فالخارج بمعنى التجلي البارز كما في قوله تعالى ﴿فخرج على قومه﴾ ومن ابتدائية .

١٣ — ووقع (في صفحة ٥٣) قوله : « والإغراء وهو الذي يسميه الكوفيون الاستيثناء (كذا) ويسميه البصريون القطع ويسميه بعض أهل العربية التام » .

إذا كانت لفظة الاستيثناء غير محرفة فهذا لقب لا يظهر من ماذا هو منقول . والظاهر أنها محرفة ، وان صوابها الاستيفاء ! ، وحينئذ تكون الأسماء الثلاثة متقاربة المعاني ، ولكن لا يظهر تلقيب الإغراء بواحد منها . فالذي يظهر أن هذه الاسطر منعزلة عن مكانها وأنها كانت متصلة بقوله « والمدح والذم » ، فان المراد بالمدح والذم النعت المقطوع فتسميته بالقطع جائية من قولهم نعت مقطوع ، وتسميته الاستيفاء لأنه لا يقطع إلا بعد استيفاء المنعوتِ ما يُعرف به من وصف مذكور قبلَ المقطوع أو معلومٍ اشتهارُه به ، وكذلك تسميته التام لأنه يؤتى به غير تابع لأن المنعوت تمت أوصافه .

١٤ — ووقع (في صفحة ٥٥) بين حاصرتين أربعةُ أسطر في أول الصفحة من قوله : « وتقول للرجل الواحد — إلى قوله — عَمُو ظلاما » . وقال الأستاذ الناشر في تعليقه إن ما بين الحاصرتين جاء في آخر المقدمة فوضعه مع مسائل المبتدأ . وأقول لم أدر كيفيةَ وضعِ هذه الأسطر في آخر المقدمة حتى أتوسَّمَ فيها أنها من المقدمة زُحزحت عن مكانها ، أو أنها مُدرجة في النسخة كفائدة قيّدها كاتبها ولم تكن من المقدمة ، على أن حقها أن توضع في باب الحكاية لإفادة التفرقة بين استفهام الحكاية المسمى باستفهام الاستثبات وبين الاستفهام الأُنُف وهو استفهام الاستعلام . على أن قوله « والجماعة مَنُون أنتم الخ » تخليط في الأمثلة بين أمثلة الاستفهام الاستعلامي ، وهي الأمثلة التي قبل البيت ، وبين أمثلة استفهام الحكاية الذي سبق البيت شاهداً فيه على بعض لغات العرب عند يونس وقال سيبويه هو شاذ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٥ — وقال (في صفحة ٦٧) : « وما طرح الخافض كقولك ليس خارجاً زيد » جعل ما هو خبرُ ليسَ : منصوباً على نزع الخافض وهذا يدل على أن خلفاً يعتبر ليس حرفاً لا فعلاً جامداً ، فإذا كان ليس حرفاً كان حق الجملة الاسمية بعده أن يكون جزآها مرفوعين على أنهما مبتدأ وخبر ، فلما وجدنا الجزء الثاني منصوباً علمنا أن لا سبب لنصبه إلا اعتبار نزع الخافض وهو الباء الذي يؤكد بها النفي .

ولا يعرف القول بأن ليس حرف إلا لأبي علي الفارسي وأحمدَ بن شُقَيْر البغدادي [1] وقد علمنا الآن أن خلفاً سبقهما إلى ذلك فينبغي أن يُعزى إليه هذا القول .

(١) هو أحمد بن الحسين (كما في ياقوت) أو ابن الحسن (كما في البغية) البغدادي المتوفى سنة ٣١٧ .

١٦ — وقال (في صفحة ٥٨) « لا يَبْعَدَنْ قومي الأبيات الثلاثة » ، انما ذكر الأبيات الثلاثة لأنها تشتمل على ما نصب بالمدح وهو قولها النازلين والطاعنين ، وعلى ما رُفع بالعطف على الصفة المرفوعة وهو الطيبون والضاربون في رواية المؤلف هنا ؛ وفي تلك الصفات كلها روايات بنصب البعض ورفع البعض ٠

والمقصود وضوح الفرق للمبتدىء بين الاعرابين وتنبيهه إلى أن تعدد الأوصاف يسوّغ عدمَ اتباع بعضها لما قبله ونصبَه على القطع المسمى بالمدح ٠

١٧ — ووقع (في صفحة ٥٩) : « وقولك والإغراء » ، والظاهر أنه سقط كلام بعد « وقولك » : والظاهر أنه مثال التحذير فيمكن أن يكون الساقط هكذا « وقولك الأسدَ تريد احذَرْ » كما يقتضيه كلامه في باب التحذير صفحة (٨٢) ٠

١٨ — وقال (في صفحة ٦٠) « والجواب » لم يظهر موقع هذه الكلمة فتأمل ٠

١٩ — وقال (في صفحة ٦٠—٦١) : « وفي كتاب الله عز وجل في آيات التعجب مسألة فسل عنها أهل العربية الخ » ، وهو كلام لا مناسبة له في موقعه ولعله أُدخل هنالك بسبب خلط في أوراق أصل النسخة ، وحقه أن يقع عقب قوله « والتعجّب ما أحسنَ زيداً » في صفحة ٥٧ وقوله في آيات التعجب أي آيات القرآن التي فيها تعجب ٠

٢٠ — وقوله : « فسل عنها أهل العربية » ، يحتمل أن يكون فَسَل بصيغة فعل الأمر خطاباً لمزاول هذه المقدمة أي فَسَلْهم وانظر ماذا يجيبون ، فيكون هذا تبجحاً منه على أهل العربية إذ لم ينتبهوا لها ، فلعل التفطن لها من مبتكراته وحقاً فأنا لم أر من تعرض لما فيها من معنى التعجيب قبل صاحب الكشاف ٠ ويحتمل أن يضبط قوله فُسِلَ بضم الفاء و كسر السين وفتح اللام على البناء للنائب من قولهم فَسَلْتُ الصبيَّ إذا فطمتُه وهو هنا مجاز أي فطمهم فاطم

عن تذوق معناه والمعنى حال بينهم وبين هذه المسألة حائل فلا يكون في كلامه تبجح على أهل العربية .

٢١ — وقوله : « بنصب كلمة على التعجب » أي نصبها على التمييز لنسبة الكبيرة بمعنى الفظاعة إلى قولهم اتخذ الله ولداً ، ليدل بالتمييز على ارادة التعجيب من قولهم الفظيع ، وإلا لما كانت حاجة إلى التمييز لعدم انبهام الخبر ، فإن ما سبقه من قوله : « وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً » دالٌّ على أن ذلك فظيع ، وذلك أن من مواقع التمييز أن يَرِد بعد الخبر المسوق لإرادة التعجب ، كقولهم لله درُّه فارساً ، وحسبك بفلان صاحبا ، وهذه المسألة من غُرر هذه المقدمة .

٢٢ — وقال (في صفحة ٦٧) : « باب الحروف التي تقتضي الفاعل » أي الكلمات التي تقتضي بمعانيها أن يكون الفاعل مواليا لها ، أي لا يُقدَّم مفعولها على فاعلها ، وأراد بذلك أن معاني تلك الأفعال قوية التلبس بفاعليها فلا ينبغي أن تُذكر مفاعيلها قبل فاعليها اعتماداً على ظهور المعنى بالرفع والنصب ، ووجهُ أن ذلك لا ينبغي أنّ الاستعمال الفصيح أن تكون فاعلوها مقدّمة للاهتمام بها مع كون التقديم هو الأصل فهذا تقديم لمجرد الاهتمام بالفاعل .

وعكسُ هذا يُقرّر في قوله باب الأفعال التي تقتضي المفعول فتقديم المفعول فيها لمجرد الاهتمام . قال في تلخيص المفتاح : « وتقديمُ بعض معمولاته (أي الفعل) على بعض لأنّ أصله التقديم ولا مقتضي للعدول عنه كالفاعل في نحو ضرب زيد عمرا » ، قال في المطول وقولك قتل زيد رجلاً إذا كان زيد ممن لا يقدّر فيه أن يَقتل فالغرض الأهم الاخبار بأنه صدر منه القتل ، فالمثال الذي أشار اليه في المطول مندرج فيما قرره خلّف هنا ، قال في التلخيص : « أو لأنّ ذكره أهم كقولك قتلَ الخارجيَّ فلان » . وهذه المسألة من غرر مسائل هذه المقدمة التي سبَق إلى ملاحظتها قبل علماء المعاني .

٢٣ — قال (في صفحة ٧٢) : « وكذلك تَمَيَّزُ الأفعال المستقبلة بأخواتها » أي يعرف كون الفعل مستقبلاً إذا دخل عليه أحد هذه الحروف لأن جميعها خاص بالمستقبل .

وقوله « وتسقط النونان الخ » أفاد به كيفية اعراب الفعل المنصوب إذا اقترن بنون تثنية أو نون جمع .

٢٤ — وقال (في صفحة ٧٥) : « وهو نصب كله » أي كلا جزأيه الاسم المنادى والمركب الدال على نَصْب المنادى ، فأما نصب المنادى في مثله فهو المختار ويجوز ضمه باتفاق النحاة والمؤلف اقتصر عليه تسهيلاً على المبتدىء . وأما المركب الدال على نَصْب المنادى فنصبه واجب .

٢٥ — قال (في صفحة ٧٦) : « وإذا ناديت ما يُبدى بالألف واللام » هذه المسألة غير مندرجة في عنوان الباب ، وانما ذكرها لمشابهة المعطوف على المنادى بالمنادى في أنه اتصل بالمنادى بالعطف فأشبه المضاف اليه ، لأن النحاة يتوسعون في اطلاق المضافِ على المنادى الذي اتصل به شيء من تمام معناه ، ولعل من اصطلاحهم في القديم الحاق المنادى المعطوف بأقسام ما يدعونه بالمضاف .

٢٦ — قال (في صفحة ٧٧) : « قال الله تعالى يا جبال أَوِّبي معه والطيرَ » جعل المؤلف نصب الطير في القراآت المتواترة كلها حجة قاطعة على أن الأفصح نصب المعطوف المقترن بالألف واللام على المنادى . وأعرض عن تأويل الذين تأولوا النصب بتقديرات دعاهم اليها قول سيبويه : « فأما العرب فأكثر ما رأيناهم يقولون يا زيد والنضرَ وقال الخليل هو القياس [(١)] » . وقد اتفق البصريون والكوفيون على جواز نصب هذا المعطوف وضمه . وانما اختلفوا في ترجيح أحد الوجهين ، فالخليل وسيبويه والمازني من البصريين رجحوا ضمه وتبعهم ابن مالك . وأبو عمرو ويونس وعيسى بن عُمر والجرمي منهم رجحوا نصبه . وأحسب أن

(١) صفحة ٢٦٤ جزء ١ طبع باريس سنة ١٨٨١ م .

الكوفيين يرجحون نصبه ، ولم ينقل لنا عنهم فيه شيء ، وجرى كلام خلف على هـذا ، فلذلك قال : « فانصب به الألف واللام » أي مدخولها أي فانصبه اختياراً وليس يريد وجوب نصبه إذ لا قائل بوجوبه .

والمؤلف كثيراً ما يجري كلامه في هذه المقدمة بالاقتصار على الوجه الراجح تيسيراً على المبتدىء .

٢٧ — قال (في صفحة ٧٧) : « قال خلف واللغة فيه والنصب أنك إذا قلت يا زيد والفضل لم يجز ويا أبا الفضل وانما يجوز يا أيها الفضل » صدّر كلامه بذكر اسمه للتنبيه على الاعتناء بهـذا الكلام لأنه مجال تخالف بين النحويين وتصريحاً بالفرق بين نصب المعطوف المعرف على المنادى وبين عدم نصبه إذا ولي حرف النداء .

فقوله « واللغةُ فيه والنصب أنك إذا قلت الخ » اللغة مبتدأ والتعريف في اللغة للدلالة على معنى الكمال أي اللغة الفصحى فيه ، وفيه حال من المبتدأ ، والنصبُ عطف على اللغة عطف تفسير ، وأنك إذا قلت الخ هو خبر المبتدأ بتأويل مصدر منسبك من أنّ المفتوحة واسمها وخبرها جملة إذا قلت فإذا ظرف متضمن معنى الشرط وجوابه محذوف دل عليه المبتدأ ، وتقديره فاللغة فيه النصب أي انما تنصب المعرف المعطوف على المنادى إذا نطقتَ بمثل ما مثَّلتُ لك فقلت يا زيد والفضل بدون اعادة حرف النداء فلامَ والفضلَ هنا مفتوحة .

وعبارة المؤلف إثْرَ هذا مغلقة ، وفي النسخة اختلال وذلك قوله : « لم يجز ويا أبا الفضل » ولا معنى لكلمة « يا » هنا ، فلعل صواب العبارة هكذا : « ولم يجز ويا الفضل » أي لم يجز النصب إذا أعيد حرف النداء بعد واو العطف ، فيتعين أيضاً أن يضبط لام الفضلَ (الثاني) بفتحة . « وانما يجوز يأيها الفضل » أي انما يجوز حينئذ ضمه لانه منادى مستقل ويجب وصله بأي المجعول صلة لنداء المعرف

باللام وصلاً واجباً عند البصريين وراجحاً عند الكوفيين الذين أجازوا نداء المعرّف باللام دون وصل بأيّ [(١)] .

وقوله : « وقال الشاعر ألا يا زيد والضحاكَ سِيرا البيت » عطف على قوله قال الله تعالى « يا جبالُ أوبي معه والطيرَ » وما بينهما اعتراض ، وظاهر كلام المؤلف وكلام ابن هشام في شرح القطر وكلام الآلوسي في تفسير آية يا جبالُ أوّبي أن الرواية في هذا البيت بنصب والضحاكَ ، ووقع للمكودي في شرح الألفية انه رُوي بالضم ولم أره لغيره .

٢٨ — وقال (في صفحة ٨٠) : « باب التحقيق » أراد الاستثناء المفرغ لما دلَّ عليه المثالان وذِكره عقب الاستثناء ، ولا يعرف هذا الاسم في شيء من كتب النحو وانما يعبرون عنه بالتفريغ أو الاستثناء المفرغ ، ولعل تسميته التحقيق كانت معروفة ثم تنوسيت ، ولعلها كانت مشهورة بين الكوفيين والبصريين وأن الكوفيين سموه الايجاب أيضاً ، وكلتا التسميتين غير معروفة في غير هذه المقدمة .

٢٩ — قوله (في صفحة ٩١) : « وكذلك كل ما بنته العرب الخ » هذا تخلص إلى حكم الأسماء المبنية . وجرت عادة النحويين أن يذكروا حكم أسماء البقاع المبنية في أثناء الكلام على ما لا ينصرف كما فعل سيبويه .

٣٠ — وقال (في صفحة ٩٢) « فتقول » وهو تفريع على قوله قبله « فانه مخفوض أبدا » وما بينهما اعتراض .

٣١ — وقال (في صفحة ٩٣ : « وكذلك أسماء المواضع فانها لا تتغير ولا تخفض » لعله يعني أن أسماء الأماكن نوعان نوع ممنوع من الاعراب أصلاً وهو المبنيات منها ، مثل سَفَارِ (بوزن حذام بئر لبني مازن بن مالك) وتَطَاعِ (بوزن حذام أيضاً قرية باليمامة وماء لبني تميم) ، ومثّله المؤلف « بالبطال » ، ولا يعرف لغيره ، ولم نقف على هذا لأحد من أهل اللغة ، فهذا الكلام يحتاج

(١) نقله المرادي في شرح التسهيل مخطوط .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

إلى مزيد تمحيص ، ونوع لا يخفض أي ممنوع من الصرف وهو غالب أسماء البقاع مثل جِلّق اسم مدينة دمشق .

٣٢ — وقال (في صفحة ٩٥) : « المذكر والمؤنث إذا اجتمعا كان الخاطب للمذكر » كذا في النسخة ، ولعل صوابه كان الخطاب أي التعبير للمذكر ، أي من خصائصه ، أي إذا اجتمعت ارادة مذكر ومؤنث بشيء يجمعهما من ضمير أو اسم اشارة يغلّب جانب التذكير ، وهذا ما يسمى بالتغليب ، ومنه قوله تعالى « وكانَتْ من القانتين » ، وقوله « ولأَبويه » أي لأبيه وأمه .

٣٣ — وقوله (في صفحة ٩٦) « أراد بذلك الآيات الخ » أي ليس هذا الاستعمال الذي في الآية من قبيل التغليب لأن التغليب يكون بمراعاة الأقوى . بل الآية من قبيل تأويل الاسمين المذكورين بأنهما آيتان فلذلك أجري الضمير على التأنيث أي الذي خلق الآيات . والظاهر أن الكلمات التي حجبها خاتم الوقف هي « فردٌ عل » كما يدل عليه كلام المؤلف بعد ذلك .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣٤ — وقال (في صفحة ٩٩) : « وإذا أردت بكم أن تأتي بمعنى من نصبت الخ » هذا الكلام اعتراض بين قوله — قال الشاعر — ، وقوله — بمعنى كم وربَّ — قصد به التنبيه على استعمال كم في الاستفهام ، فلا يكون فيهما معنى رُبَّ الذي عقد له الباب ، فقوله « بمعنى كم ورب » حال من قوله قال الشاعر ، وقوله « وهما يتعاقبان » أي يَرِد أحدهما في موضع الآخر للتكثير والتقليل ، فأما رُبَّ فهي موضوعة للتكثير والتقليل فهي من حروف الأضداد ، وأما كم فالخبَرِيةُ موضوعةٌ للتكثير ، وإذا استعملت للتكثير ، كان ذلك مجازاً في مقام التهكم مثلاً ، وأما كم الاستفهامية فلا يتصور فيها قصد التكثير أو التقليل .

تفسير الشواهد الشعرية الواردة

في هذه المقدمة وهي غيرُ معروفة في شواهد النحو

الشاهد الأول في صفحة ٧٥ « قال الشاعر في معناه

يا فارس الميرة باسمه ويا حَيْوَةَ بن عقيل »

يحتمل أنه شاهدٌ واحد ساقه المؤلف على أنه بيت كامل ولكن دخله اختلال في النسخة من سقوط بعضه من قلم الناسخ · وحينئذ فالشاهد في الجزء الأخير ·
ويحتمل ، وهو الأظهر ، أن المؤلف أتى بمصراع مفرد مقتصراً عليه · ويكون قوله ويا حيوة بن عقيل عطفاً على جملة قال الشاعر أي وقولك يا حيوة بن عقيل · ويكون المصراع الأول سقطت منه كلمة ابن المغيرة ولعل قوله باسمه تحريفُ بأسه

الشاهد الثاني قوله في صفحة ٩٢ « قال الشاعر

رأيتك أمسِ أحسن من يُمَشّي وأنتَ اليوم خير بني معد »

وهذا الشاهد لا يعرف في كتب النحو واللغة ولا يعرف قائله ·
وكنّى بمَنْ يُمَشّي عن الناس كقول الحارث بن حلزة :

مَلِكٌ مقسِطٌ وأفضلُ من يَمْــشي ومن دون ما لديه القضاء

ومعنى البيت المدح بأنه قد نشأ أحسن الناس وهو الآن سيد العرب ·
وهذا المعنى قريب من قول أبي تمام :

ان الهلال إذا رأيت نماءه أيقنتَ أن سيكون بدراً كاملاً

ولعل قائل هذا الشاهد أخذه من بيت زياد الأعجم الذي ذكره الأستاذ الناشر أو العكس ، أو هو من توارُد الخواطر ، أو هو لزياد الأعجم من قصيدة غير التي منها البيت الذي على قافية السين وتشابه الأبيات في الشعر غير عزيز ·

الشاهد الثالث في صفحة ٩٣ « وقال الشاعر :

إذا هتفتْ حمامتهم بشجو جرى الدميان واسْوَدَّ البطالا »

وهذا البيت لا نعرفه ولا نعرف قائله · والهتاف الصوت ، ويطلقونه كثيراً على صوت الحمام ، قال نُصَيْب :

لقد هتفتْ في جنح ليل حمامة على فنَن وهْناً واني لنائم

والشجو يقال على الحزن وعلى الطرب ، والعرب يجعلون صوت الحمام مرة غناء ومرة نواحاً · قال أبو العلاء :

ابكَتْ تلكم الحمامةُ أم غنّتْ على فرع غصنها الميّاد

وقال النابغة :

دُعاء حمامةٍ تدعو هديلا مطوّقةٍ على فَنَنٍ تُغَنّي

وقال أبو فراس :

أقول وقد ناحتْ بقُربي حمامةٌ أيا جارتا هل تشعرينَ بحالي

ثم يحتمل البيت معنيين أحدهما أن يريد بالحمامة الكناية عن المرأة كما كنوا عنها بالسَّرحة ، والنخلة ، والشاة . فالمعنى إذا نكحت امرأة منهم بالحب اقتتل الحيان حيُّ المرأة وحي حبيبها ، قال امرؤ القيس :

تجاوَزتُ أحراساً إليها ومعشراً عليّ حراصاً لو يسرون مقتلي

والاحتمال الثاني أن تكون الحمامة حقيقة والمعنى إذا هتفَ حمام الحي أي أصبح الصباحُ حين تلغو الطير بأصواتها ، فيكون الكلام كناية عن ترقب حصول غارة بين حيين لأنهم كانوا يغيرون عند الصباح ، ولذلك كانت كلمة الانذار بالعدوان أن يصرخَ نذيرُ القوم قائلاً « يا صَبَاحاه » ، وعليه قوله تعالى : « فإذا نزَلَ بساحتهم فساء صَبَاحُ المُنذَرين » ، وقال عمرو بن كلثوم في تعجيل الغارة قبيل الصباح .

قَرَيْنَاكُم فعجّلنا قِراكم قُبَيْلَ الصُّبح مِرْداةً طَحُونا

والدميان دماء القبيلتين على كلا الاحتمالين .

ومعنى اسودٌ أنه أسوَد من قتام القتال الذي تثيره سنابك الخيل وأرجُل الناس ، فهو لكثرته يصير به الجو قريباً من الأسوَد فعبر عنه بالسواد تشبيهاً بليغاً قال بشار :

كأنَّ مُثَارَ النقعِ فوق رؤوسهم وأسيافَنا ليلٌ تهاوَى كواكبُهُ

« والبطال » قال المؤلف انه اسم موضع . وقال الأستاذ التنوخي انه لم

يجده ووجد البطان أي بنون في آخره . قلت فلعل الذي باللام لغة في الذي بالنون لأن النون واللام قد يتبادلان كما ذكر أبو علي القالي في أماليه ، فمن ذلك اسرائين واسماعين وجبرين وسجين في قول ؛ الا ان الذين ذكروا البطان من أهل اللغة لم يذكروا أنه مبني . وهذا أشكلُ مسألةٍ في هذه المقدمة وأغربها ، فاذا اطمأننا أن هذه المقدمة لخلف الأحمر كان حقاً أن نضم هذا إلى المعجم الكبير الذي يُعِده المجمع اللغوي بالقاهرة ، وأن نزيده في النحو في أمثلة المبنيات على الفتح مثل أينَ ، وأحدَ عشر ، وبعلبكّ .

وأما البيت الذي نقله الأستاذ المعلّق في ورقة استدراك وتصويب في آخر هذه المقدمة عن كتاب الإبدال لأبي الطيب الحلبي وهو :

إذا ناحت حمامة آل بدر جرى الدموان وابتلت نعال

فإن كان بيتاً من شعر آخر فذلك من تقارب البيتين ، وان كان رواية في البيت الذي رواه المؤلف فهو عَري عن الشاهد في هذه الرواية . وأيّاً ما كان فلا ينطبق على مسألة هذه المقدمة .

الشاهد الرابع قوله في صفحة ٩٨ « وقال الشاعر :

كم ليلة بت فيهـا مغتبطا »

لا يعرف ولا يعرف قائله . وهو من بحر المنسرح دخله زحاف الطي مرتين وهو حذف الساكن الثاني في كلمة « بتُّ » وكلمة « مُغتبطاً » ، ودخلته علة التسبيغ وهي زيادة ساكن في جزء مفعولاتُ فصار مفعولاتن .

ولعل كلمة « فيها » محرفة عن « بها » فيصير المصراع رَجَزاً ويسلم من الزحاف ومن العلة [1] .

محمد الطاهر ابن عاشور

(١) للأستاذ عز الدين التنوخي نظرة على هذه النظرة ستنشر في العدد القادم . (لجنة المجلة)

تاريخ بناء القرويين

٢٤٥ ، ٢٦٣ ، ٣٠٦

ان كل أولئك الذين كتب لهم أن يزاولوا الدراسات التاريخية بصفة عامة وتاريخ المغرب بصفة خاصة يذكرون جيداً أن ابن أبي زرع في كتابه القرطاس نقلاً عن أبي القاسم ابن جنون في تاريخه لمدينة فاس ، وكذا سائر الذين حذوا حذوه من أمثال الجزنائي في زهرة الآس ، وابن خلدون في تاريخه العبر ، وابن القاضي في جذوة الاقتباس وغير هؤلاء يجمعون على أن مسجد القرويين بمدينة فاس « شُرع في حفر أساسه والأخذ في أمر بنائه أول رمضان من سنة ٢٥٤ (٣٠ يونيو ٨٥٩) بطالعة العاهل الادريسي يحيى الأول ، وأن أم البنين فاطمة الفهرية هي التي تطوعت ببنائه وظلت صائمة محتسبة إلى أن انتهت أعمال البناء وصلت في المسجد شكراً لله » ، وهذه حقيقة تاريخية لا يسمح الباحث لنفسه بالاستسلام للشك والتردد أمامها لا سيما وهي ترجع لوقت مبكر من تاريخ المغرب أعني وقت بني مرين أوائل القرن الثامن الهجري ، بيد أننا نجد أنفسنا اليوم أمام وثيقة معاصرة للأدارسة ، انها لوحة منقوشة عثر عليها — عند أعمال الترميم — في البلاط الأوسط فوق قوس المحراب القديم الذي كان للقرويين قبل قيام المرابطين بتوسعة المسجد ، لقد اكتشفت مدفونة تحت الجبس وقد كتب عليها — في جملة ما كتب — بخط كوفي افريقي عتيق : « ... بني هذا المسجد في شهر ذي القعدة من سنة ثلاثة (كذا) وستين ومائتي سنة مما أمر به الامام أعزه الله داود بن ادريس أبقاه الله ... ونصره نصراً عزيزاً » .

وما دمنا في استعراض الآراء حول تاريخ بناء القرويين لا بد أن نعرض لرأي ثالث نقله الدكتور اوسكار لانز [1] ، فلقد ساق ترجمة لنقش قيل انه عثر عليه

---

(1) Oskar Lens : Voyage au Maroc Paris 1886 Vol 2 .

فوق « صفيحة فضية » مغروزة في أحد جدران المسجد وتوجد ضمن هذا النص العبارة التالية : « ... بني يوم الخميس من سنة ٣٠٦ أو شهر ربيع النبوي ... » أي في أيام ولاية يحيى الرابع .

وحتى نرجع إلى حديث فاطمة وداود نشير إلى أن رواية الدكتور لانز لا نعيرها أي وزن من الناحية التاريخية لأنها خالية من كل سند ملموس ولا سيما مع ما حكاه عن الطالب ادريس الذي زوده بهذه الوثيقة والذي لم يكتم أنه وجد صعوبة في الوصول إلى بقية النقش ، الأمر الذي يقرب إلى « أساطير » السياح أكثر مما يخدم الحقيقة التاريخية ؛ هذا مع العلم بأن أول ربيع الأول يوافق — حسابياً — يوم الثلاثاء وليس يوم الخميس ... وبعد فلنرجع إلى ابن أبي زرع ، واللوحة المنبعثة .

ولكن قبل أن نفتح الموضوع يجب أن نتعرف في كلمة وجيزة عن الإمام داود بن ادريس تاركاً التفصيل للبحث الذي كنت كتبته خصيصاً عن هذه الشخصية [١] .

بالرغم من أن جميع المؤرخين بخلوا على داود هذا بأكثر من كلمة واحدة تتلخص في أنه « لما توفي ادريس الثاني قام بالأمر بعده ابنه محمد ، وأن هذا الأخير قسم بلاد المغرب بين كبار اخوته ترضية لهم وكان من بينهم داود الذي استأثر باقليم تازة » . وقد رددت سائر المصادر صدى « الفتنة » التي نشبت بين بني ادريس على أثر هذه « الترضية » لكنها لم تعد مجالا لذكر اسم داود ، وقد كاد صاحب هذا الاسم يعد في عداد الضائعين لولا عناصر ثلاثة :

أولها : اليعقوبي [٢] الذي يذكر أن داود بن ادريس كان والياً على عدوة الأندلس وأنه كان « يدافع » يحيى صاحب عدة القرويين المعروفة بالمدينة العظمى .

(١) التازي ، مجلة « دعوة الحق » العدد السابع ، السنة الثالثة ابريل ١٩٦٠ — مجلة « مجمع اللغة العربية » بدمشق المجلد ٣٦ جزء ٢ ص ٢١٢ .

(٢) اليعقوبي ، أخبار البلدان ، طبعة ليدن ١٨٩٠ ، ص ١٣٧ .

Blachère Respérie T. 18 — 1934 - Page 41 - 42 - 43 .

ثانياً : الدرهم الموجود بالمكتبة الوطنية بباريز الذي يحمل اسم الإمام داود بن ادريس [1] .

ثالثاً : هذه اللوحة الأثرية التي يحتفظ بها الآن في المركز الرئيسي لمصلحة الآثار بالمملكة المغربية .

وبعد هذا نرجع إلى الحديث ...

هل القرويين [2] من تأسيس فاطمة ؟ أو من عمل داود ؟

لقد كنت كتبت بمجرد وقوفي على اللوحة كلمة في الموضوع نشرت في مختلف المجلات العلمية سواء بالمغرب [3] أو القاهرة [4] أو تونس [5] أو اسبانيا [6] ، وكنت قصدت كما صرحت بذلك أن أثير انتباه الناس علهم يساعدون على اضفاء الضوء على هذه الحقائق ، ومن سوء الحظ أنني إلى الآن لم أقف على « رد فعل » من قبل الذين يهمهم أمر التاريخ ، حاشا بعض « الفروض » التي تلقيتها من بعض الأساتذة الأجلاء الذين حرصوا على أن يحاولوا نقل القرطاس في نحوه من الشبهة والريب .

ففي الناس من أوصى بنبذ أمر هذه اللوحة لأنها في نظره تناهض « تواتراً » متوارثاً في الأجيال ، وفيهم من رجح أن تكون اللوحة قد نقلت من مكان آخر وغرزت هنا ... وأن ذلك تم على عهد الوطاسيين في الفترة القصيرة التي رجع فيها النفوذ إلى الشرفاء الأدارسة بواسطة محمد بن علي الجوطي [7] .

(١) La Voix Catologue des Monnaies Musulmans de la Bibliothèque Nationale P. 69, n° 92

(٢) يريد جامع القرويين .

(٣) التازي : مجلة التربية الوطنية ، العدد الرابع سنة ١٩٦٠ ص ١٠ - ٢٠ .

(٤) مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد الثامن ١٩٥٩ ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

(٥) التازي - مجلة الفكر - السنة الخامسة عدد ٦ مارس ١٩٦٠ .

(٦) التازي - مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد - المجلد السادس ١٩٥٨ ص ٢٧٧ - ٢٧٨ .

(٧) Deverdun mélanges d'Histoire et d'Archéologie T. II. Page 72.

http://Archivebeta.Sakhrit.com ARCHIVE

وفي الناس طائفة ثالثة يصممون على أن يأخذوا بما ورد في مدلول اللوحة نظراً أولاً لكونها « وثيقة معاصرة » ، وثانياً لما أثر في هفوات عن القرطاس ، وثالثاً لكون بعض الرحالة والمؤرخين القدامى من أمثال اليعقوبي والبكري وابن عذاري تحدثوا عن مدينة فاس بمسجديها العتيقين لكنهم لم يعرجوا على تأسيس القرويين على النحو الذي عرف في القرطاس ...

فماذا تكون الحقيقة ؟

أما « التوصية » بنبذ اللوحة فأمر سلبي لا يسمح به المؤرخ النزيه ، وأما عن أمر نقل اللوحة وخاصة أيام الوطاسيين فانه يبعده عندي أن التاريخ ظل صامتاً صمتاً مطلقاً عن مؤسسات داود بن ادريس في مناطق نفوذه ولا يمكن أن ندعي اذن أنه أسس هناك « مسجداً » وأن « اللوحة » التي كانت على ذلك المسجد هي التي نقلت ! لكن الأبعد هو القول بأن عملية النقل تمت في عهد الوطاسيين مع أنها وجدت تحت الجبس الذي ضرب — منذ نهاية دولة المرابطين — على سائر جهات البلاط الأوسط ، ولم يتحدث التاريخ أبداً عن ازاحة « التبليط »[1] الذي قام به فقهاء فاس أو المسؤولون في الدولة الموحدية ، لذا فأمام قوة هذه الوثيقة الناطقة واعتباراً لما نقل عن اليعقوبي وعرف من أمر السكة الداودية واحتراماً لما نقل عن أبي القاسم ابن جنون[2] وأبي محمد عبد الملك بن محمود الوراق[3] مما تردد صداه في الأنيس المطرب وانعكس في زهرة الآس والعبر والجذوة ،

---

(١) مجلة كلية الآداب ــ الاسكندرية ، العدد ١٤ سنة ١٩٦٠ ص ٦٠ ــ ٨٨ ، المؤتمر الثالث للآثار العربية ، نشر الجامعة العربية صفحة ٤٤٥ ــ ٤٦٥ . التربية الوطنية دجنبر ــ ١٩٦٠ ص ٤٤ ، التازي : جامعة القرويين في أحـــد عشر قرناً ، طبعة المحمدية ص ٨ .

(٢) رسالة في ذكر من أســس مدينة فاس (مخطوطة) مجهولة المؤلف بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية تحت رقم (٩٧٢٢ ح) .

(٣) مخطوط في تاريخ الأدارسة س كوبنهاغن مصور بمعهد المخطوطات التـابع لجامعة الدول العربية .

ونظراً لأننا لم نعثر لحد الآن على نص تاريخي آخر يعزز بناء الإمام داود لجامع القرويين ، ونظراً لكون النقش المشار اليه لم ينص بصفة واضحة على لفظ القرويين ، أقول مراعاة لكل ذلك نجد أنفسنا بين احتمالين :

فاما أن يكون ابتداء البناء كان في رمضان سنة ٢٤٥ في أيام يحيى ، ولكنه استمر إلى سنة ٢٦٣ أيام داود بن ادريس ، وتكون فاطمة استغرقت في صومها كل هذه المدة ، ويؤيد هذا الرأي أولاً ما استهدفت له البلاد من حالة الجفاف في هذه الأثناء ، وثانياً ما تعهدت به فاطمة والتزمت من استخراج كل مواد البناء من نفس البقعة تحرياً ، وثالثاً أن المصادر التاريخية إنما تحدثت عن ابتداء البناء ولم تتحدث عن انتهائه ، فكل هذا مما يبرر استغراق كل هذه المدة .

واما أن يكون البناء تم في نفس السنة نظراً لكون الجامع — ومساحته لا تصل إلى ألف متر مربع — لا يمكن التهاون في أمر بنائه طيلة ثمانية عشر عاماً ... ويفسر وجود داود بن ادريس هنا بأنه في الفترة التي كان « بدافع » فيه يحيى ، تمكن في بعض الظروف من الاستيلاء على عدوة القرويين ، وتخليداً لهذا الفوز الذي حصل عليه في عدوة القرويين ورغبة في أن تعرف الأجيال القادمة انه « كان هنا » فقد شاء أن ينقش اسمه كنصب تذكاري في هذه الجهة ، ولما كان الملوك والرؤساء يختارون أبرز مكان وأشهره لتخليد أسمائهم ، وكان أفضل مكان في المسجد وأطهره هو المحراب فقد تم ضرب هذه « الأرزة » عليه حتى تظل أمام المتعبدين والقاصدين .

بقي أن يُتساءل عن اختفاء اسم فاطمة من اللوحة مع ان النصوص المذكورة تتضافر على أنها المؤسسة ؟

اننا نعلم ان التقاليد القديمة لا تلح في ذكر أسماء النساء على المباني ولا سيما مع ما أثر من أن الشعوب قد تقوم بالمشاريع وترجو إلى الملوك تبنيها تقديراً لهم وتكريماً لمقامهم .

وبعد ... فهل ستكون هذه كلمتنا الأخيرة حول تاريخ بناء القرويين ؟

عبد الهادي التازي

مراجعة في شأن تعريف غير

وجمع معجم على معاجم

أفادنا الأستاذ عارف النكدي في مقال له بالجزء الثاني من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة بوقوع مناقشة بين الدكتورين طاهر الخميري وابراهيم السامرائي في مسألة ادخال أل على غير وجمع معجم على معاجم ، نُشرت في مجلة « اللغات » بتونس . وعقب حضرته على ذلك بما أوضح وجه المسألة وطلب رأي أعضاء المجمع وقراء مجلته ليكون الرأي رأي جماعة لا فرد . وبصفة كوني من الفريقين معاً حُبّب إلي أن أُدلي برأيي الذي أُجمله في هذه المراجعة ، وان كان في الحقيقة ليس رأياً بل تقريراً لما عند علماء العربية في هذا الشأن .

فأما ادخال أل على غير فقد نص العلماء على انه خطأ لأنها لا تتعرف ولو بالإضافة ، وذلك لشدة ابهامها . وأصلها أن تكون صفة لنكرة نحو « ارجعنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل » ، أو لمعرفة قريبة من النكرة نحو « غير المغضوب عليهم » ، لأن المعرف الجنسي قريب من النكرة . وبهذا يُعلم ان تجويز ادخال أل على غير ، بناءً على أنه تعريف كتعريفها بالإضافة في نحو غيري وغيره ، ليس بصحيح . وتساؤل الأستاذ هل قولنا غيري فعل هذا أكثر تعريفاً من قولنا الغير فعل هذا ؟ يقال عليه صحيح أنه ليس أكثر تعريفاً منه بل ولا هو معرفة أصلاً حتى يُنظر في المفاضلة بينه وبين ما حُمل عليه في التعريف ، وانما جاء ذلك من شدة ابهام غير التي لا يتعين المراد بها .

نعم ذهب ابن السراج الى ان المُغاير إذا كان واحداً تعرفت غير باضافتها اليه ، وبه يُقيد قول السيرافي إذا وقعت غير بين متضادين تعرفت ، أي بين متضادين لا ثالث لهما كقولنا الحركة غير السكون والزوج غير الفرد ، بخلاف القيام غير القعود فانها لا تتعرف لصدقها بالاتكاء والاضطجاع ونحوهما .

وهذا كله في الإضافة ، وأما أل فلا مورد لها هنا لأنها اما للجنس أو للعهد ولا تحقق لأحدهما في دخولها على غير ، فبقي أن ادخالها عليها خطأ تساهل فيه المتأخرون ولم يقع من أحد من المتقدمين ، والشجاعي والهوريني كلاهما متأخر لا يُحتج به .

وأما جمع معجم على معاجيم فانه مما لا ينبغي الاختلاف فيه ، وليس جمعه على معجمات بأقيس منه . ولا حاجة إلى تتبع الكلمات التي جاءت على وزنه مجموعة بذلك الجمع للاستظهار بها ، فان من المقرر نحوياً أن مفاعل هو من باب فَعالِل الذي قال فيه ابن مالك في الألفيه .

وبفعالل (وشبهه) انطقا في جمع ما فوق الثلاثة ارتقى من غير ما مضى ...

وقد ذكروا أن شبه فعالل مَفاعل وفَياعل وفَعاول وغيرها مما هو مثله عدداً وهيئة وإن خالفه زنة كفاعيل وفعاعيل ونحوهما ، فهذه كلها جموع لما زاد على الثلاثة من الرباعي فما فوقه أصلياً كان أو مزيداً باستثناء باب كبرى وسكرى وأحمر ورام وكامل ونحوها ، وهو ما أشار له ابن مالك بقوله (من غير ما مضى) فإن له جموعاً أخرى ذكرها في محلها . ويدخل فيما نحن بصدده ، أعني الرباعي الذي يُجمع على مفاعل ، مثل مُعجم ومُصْحَف مما أوله مضموم ومَسجد ومَعهد مما أوله مفتوح ومِعْصَم ومِخْلَب مما أوله مكسور فيقال معاجم ومصاحف ومساجد ومعاهد ومعاصم ومخالب قياساً لا تردد فيه وكذا كل ما كان مثله والله أعلم .

عبد الله كنون

مصحف عثمان (١)

سمعت بحديث المصحف الذي كان في جامع الخوجة أحرار بسمرقند ولم يتيسر لي رؤيته . وأعتقد أن كاتب المقال اكتفى بنقل رواية أهالي سمرقند دون أن يدعم هـذا الزعم بحجة علمية . وذكر المستشرق الكبير كراتشكوفسكي الروسي هذا المصحف في مقال له نشر في العدد الثالث من المجلة الروسية (ابغرافيا الشرقية) لعام ١٩٤٩ حدد فيه تاريخ كتابة المصحف المذكور في أوائل القرن الثاني للهجرة .

ويستدل من حجم هذا المصحف ووزنه انه لم يكن للتداول اذ لا يتسع له حجر القارىء ويصعب حمله ونقله . وارجح انه كان كغيره من المصاحف الكبيرة من الأمهات التي يعتمدها نساخ المصاحف .

وأما نسبة المصحف الى الخليفة عثمان فهي نسبة إلى المصحف الذي جمعه الخليفة ووزعه في عهده تمييزاً له عن المصاحف الأربعة التي حل محلها وهي نسخ ابي كعب وابن مسعود والأشعري والمقداد ، وليست نسبة ملكية ، وهكذا توهم الناس ان كل مصحف كبير بالحجم ووسم بالعثماني ينسب إلى شخص الخليفة عثمان الذي نقل عنه .

وأعتقد ان مصحف حمص هو من هـذه الفئة وقد سمعت خبره بالتواتر ولا يوجد على ما أعلم في متحف أوقاف الآستانة أو غيره من المتاحف الكبيرة مصحف يرتقي عهد كتابته إلى عصر الخلفاء الراشدين .

جعفر الحسني

---

(١) تعليق على مقال الدكتور عبد الرحمن الكيالي المنشور في ص ٧٣٦ في الجزء الرابع من المجلد (٣٨) من مجلة المجمع العلمي العربي .

مصحف عثمان (١)

اننا بعد التقصي والبحث والاتصال مع المعمرين في مدينة حمص حصلنا على المعلومات الآتية :

١ – المعلوم تاريخياً ان أمير المؤمنين سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه كان أمر بكتابة خمس نسخ عن المصحف الشريف ووزعهـا على الأقطار الإسلامية في عهده .

٢ – ان النسخة الموجودة في حمص مخطوطة بالخط الكوفي وكانت محفوظة في المسجد المشهور « مسجد القلعة » وكان المسلمون يزورون هذا الجامع للتبرك بالمصحف الشريف وتقبيله ، وقد أعلمنا شيخ مشايخ حمص الحالي محمد طاهر الرئيس انه كان هو بنفسه يزور المسجد ويتلو في المصحف الشريف ويتبرك به حتى قبيل الحرب العالمية الأولى حيث رفع المصحف الشريف من هذا المسجد ووضع في جامع سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣ – يقول الأستاذ الرئيس ان هذه النسخة كان أحضرها لحمص الخليفة العادل (عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه) وانه عندما وقعت الحرب العالمية المشار اليها نقل هذا المصحف الشريف إلى المانيا من قبل بعض القواد الألمان واحتفظ به في المتحف الأثري الموجود في برلين في ذلك الوقت .

٤ – بعد أن نقل المصحف الى ألمانيا انقطعت المعلومات الصحيحة عن مصيره وأصبح مكان وجوده مجهولاً .

٥ – ويقول الأستاذ الرئيس انه من المحتمل جداً أن يكون المصحف الشريف المنوه به في كتابكم والموجود في طشقند حالياً هو نسخة من احدى النسخ الخمس التي كتبهـا أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان ووزعها على الأقطار والأمصار الإسلامية وصلت فيما بعد الى هذا القطر .

---

(١) تعليق على مقال الدكتور عبد الرحمن الكيالي المنشور في ص ٧٣٦ في الجزء الرابع من المجلد (٣٨) من مجلة المجمع العلمي العربي .

٢ — أما أوصاف المصحف الشريف الذي كان في حمص فهو مخطوط على رق غزال جيد ويبلغ طوله ثمانين سنتيمتراً وعرضه ستين سنتيمتراً ، وله وقف في حمص ما يزال موجوداً ويعرف بوقف مصحف عثمان .

هذه خلاصة عن التحقيقات التي أجريتها بخصوص مصحف سيدنا عثمان ابن عفان رضي الله عنه الذي كان موجوداً في حمص حتى الحرب العالمية الأولى .

مدير الأوقاف بحمص

صلاح الدين بن بدوي السباعي

استدراك

سقط بالإغفال المنشور في الصفحة ٦٨٠ من الجزء الرابع من المجلد الثامن والثلاثين من المجلة، بعد السطر (١٨) من بعد (فناهيك بأصالة) الجملة التالية :
« العقاد وبعد غوره ووضوحه . وكذلك تناول مؤلفنا الموضوعات الآتية : فريضة التفكير في كتاب الإسلام » الموانع والأعذار . . . الخ

تصويبات

جاء في ص ٣٥٧ من الجزء الثالث من المجلد الثامن والثلاثين أن وفاة الأديب أسعد خليل داغر كانت في سنة ١٩٦٠ والصحيح ١٩٣٥ .

وجاء في هذا الجزء من المجلة :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٨	٤	ومن العلوم	ومن المعلوم
١٠	٢	منها السم	منها السام

بيان المشروعات المنوي تحقيقها في دورة السنة المجمعية ١٩٦٣ — ١٩٦٤[١]

المجمع العلمي العربي :

أنجز مجمع اللغة العربية بدمشق (المجمع العلمي العربي) في دورته السابقة أكثر المشروعات التي كان تقرر انجازها في تلك الدورة ويأمل مكتب المجمع أن ينجز ما تبقى منها قبل نهاية السنة المالية الحاضرة ، ليعمل بعدها على انجاز مشروعات المجمع الجديدة . وتميزت الدورة المنصرمة باهتمام السادة أعضاء المجمع بالمصطلحات العلمية خاصة منها ما نشر في مجلة المجمع ومنها ما طبع على حدة ، وأهمها :

(معجم المصطلحات الحراجية بالانكليزية والفرنسية والعربية) لسيادة الرئيس الأمير مصطفى الشهابي ، وله أيضاً (أخطاء شائعة في ألفاظ العلوم الزراعية والنباتية) . ومما هو جدير بالذكر أيضاً الأبحاث التي يواصل السادة الأعضاء نشرها في المجلة ومنهم : سيادة الرئيس الأمير مصطفى الشهابي ، والدكتور حسني سبح ، والدكتور جميل صليبا ، والدكتور صلاح الدين الكواكبي ، والدكتور عدنان الخطيب ، في شتى مصطلحات العلوم الزراعية والطبية والفلسفية والكيمياوية والمعجمية اللغوية وجميعها من صميم أغراض المجمع.

ولم يكتف المجمع بالمصطلحات العلمية المألوفة بل تجاوزها إلى نوع جديد من أغراضه وهو تبني طبع (معجم الآثار الافرنسي — العربي) الذي وضعه الأستاذ الأمير يحيى الشهابي . وعهد المجمع إلى لجنة من أعضائه وخبير من مديرية الآثار العامة بالتعاون مع المؤلف لإعادة النظر في هذا المعجم وتحقيقه

(١) تلاه الأستاذ أمين المجمع في اجتماع مجلس المجمع بتاريخ العاشر من تشرين الأول سنة ١٩٦٣ .

واختيار أفضل المصطلحات ، وقد باشرت اللجنة عملها منذ بضعة أشهر وهي تواصل جهدها لانهائه في أقصر مدة .

وكان المجمع في دورته السابقة قرر طبع اثني عشر كتاباً ، انجز منها عشرة كتب ثم أضاف إلى هذا العدد بسبب تمديد السنة المالية ستة أشهر ، أحد عشر كتاباً ورسالة أنجز منها سبعة كتب ، والبقية تحت الطبع ، فيكون المجمع قد أنجز طبع (١٨) كتاباً من مجموع (٢٣) كتاباً . وهو جهد يشكر عليه المحققون والمشرفون على الطبع . وهذه أول مرة في تاريخ مجمعنا تستنفد مطبوعاته فيها الاعتمادات المرصودة في ميزانيته لهذه الغاية .

أما الكتب المقترح طبعها في هذه الدورة فهي :

١ ـ الجامع في أخبار أبي العلاء المعري (الجزء الثالث) بقلم الأستاذ سليم الجندي وتحقيق الأستاذ عبد الهادي هاشم .

٢ ـ حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (الجزء الثالث) بقلم الشيخ عبد الرزاق البيطار وتحقيق الأستاذ محمد بهجة البيطار .

٣ ـ تراجم الأعيـــان للبيروني (الجزء الثاني) بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

٤ ـ ديوان ابن النقيب . بتحقيق الأستاذ عبد الله الجبوري .

٥ ـ فهرس المجلدة العاشرة من تاريخ ابن عساكر . وضعته الآنسة ملك هنانو .

٦ ـ فهرس مجلة المجمع العلمي العربي (الجزء الثالث ـ القسم الثاني) . وضعه الأستاذ عمر رضا كحالة .

٧ ـ جزء من تاريخ ابن عساكر . بتحقيق الآنسة ملك هنانو .

٨ ـ أخبار الراعي النميري وشعره بقلم الدكتور ناصر الحاني وتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي .

٩ ـ ديوان فتيان الشاغوري : بتحقيق الأستاذ أنور العطار .

١٠ - الحيدة لعبد العزيز الكناني : بتحقيق الدكتور جميل صليبا .

١١ - منتهى الطلب من أشعار العرب لابن ميمون : بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي .

١٢ - فهرس الشعر (المكتبة الظاهرية) وضعه الدكتور عزة حسن .

١٣ - فهرس الحديث (المكتبة الظاهرية) وضعه الشيخ ناصر الدين الألباني .

١٤ - معجم ألفاظ الآثار بالفرنسية والعربية للأمير يحيى الشهابي . بتحقيق لجنة خاصة .

١٥ - ما بنته العرب على فعال للصغاني : بتحقيق الدكتور عزة حسن .

١٦ - ديوان دعبل للدكتور عبد الكريم الأشتر .

١٧ - رسالة الكتيبة الكامنة في أدباء المئة الثامنة للسان الدين بن الخطيب ، بتحقيق الدكتورة هناء الدويدري .

١٨ - الجزء الأول من الوسالة الجامعة للمجريطي (إعادة طبع) طبعة ثانية .

١٩ - الجزء الأول من الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي (إعادة طبع) طبعة ثانية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢٠ - المجلد (٣٩) من مجلة المجمع العلمي العربي .

ويتوقف تحقيق هذه المشروعات على منح المجمع الاعتمادات المالية الكافية في ميزانية عام ١٩٦٤ .

اهداء كتب :

أوصى المرحومان الشيخ محمد خير دياب وخليل مردم بك رئيس المجمع العلمي العربي السابق بخزانتي كتبهما إلى هذا المجمع وهما تحتويان على كتب مخطوطة ومطبوعة قيمة . وقد نفذ السادة ورثة المرحومين الوصيتين بأمانة . رحم الله الفقيدين المحسنين وأسكنهما فسيح جنانه ، وأجزل ثواب ورثتهما .

الوفيات :

فقد المجمع من أعضائه :

الأستاذ أحمد لطفي السيد .

الأستاذ عبد الحي الكتاني .

الأب أ . س . مرمرجي الدومنكي .

تغمدهم الله برحمته ورضوانه .

دار الكتب الظاهرية :

كان نشاط دار الكتب مرضياً ولا سيما بعد أن اهتمت بوضع فهارس لقسم من مخطوطاتها فقد صدر منها في مدة قصيرة ما يأتي :

فهرس قسم الفقه الشافعي .

« « علوم القرآن .

« « الشعر .

وهي تعد فهرس قسم الحديث

وتعتبر هذه الخطوة أهم عمل انجزته المكتبة منذ تأسيسها ، وكان النقص في فهارسها من أشد ما يعيبه عليها العلماء . ويأمل أن تتم فهرسة البقية من المخطوطات في سنتين أو ثلاث سنين .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن أعمالها تصوير مخطوطات المكتبة . وقد انجزت عدداً كبيراً منها . وأصبح طلب تصوير المخطوطات يأتيها من العلماء والمؤسسات العلمية في انحاء مختلفة من العالم .

وقد اقتنت دار الكتب خلال هـــذه السنة (١٨٧٥) كتاباً مطبوعاً و (٢٣٩) مخطوطا .

الاستملاك :

اعترضت مشروع الاستملاك للعقارات المجاورة لدار الكتب بغية توسيعها وتنظيمها عقبات ادارية شكلية أثارها أصحاب العقارات والقضية هي اليوم في الدوائر القضائية ومن المأمول أن تنتهي في مصلحة المجمع .

الأمين

جعفر الحسني